ديوان الإمام الشافعي

أبي عبد الله محمد بن ادريس

شرحه وضبط نصوصه وقدّم له

الدكتور عمر فاروق الطبّاع

ديوان الإمام الشافعي

جميع حقوق الطبع والصف والاخراج
محفوظة لـ :

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

توزيع دار القلم للطباعة والنشر
بيروت - لبنان - ص.ب ٣٨٧٤

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف : ٨٣٤٩٧٣/٤-
فاكس ٦٠٣٠١٣ كود بيروت ٠٠٩٦١١ -

ديوان الإمام الشافعي

أبي عبد الله محمد بن إدريس

شرحه وضبط نصوصه وقدّم له

الدكتور عمر فاروق الطبّاع

محمد بن إدريس الشافعي

●

بقلم: الدكتور عمر الطبّاع

كان أشبهَ بواسطة العقد في العلوم الدّينيّة ومذاهبها، فقهاً وحديثاً، ودرةً في سلك العلوم اللسانية لغةً وأدباً وشعراً على حدّ سواء. بل كان إمام عصره في أكثر هذه العلوم وتلك الأصول. أضف إلى ما تقدم **شرف المنبت وعزّة المحتد وانتهاءه فيهما** إلى فرع سامق ـ من **دوحة النبوّة** ـ هداه **في الدين** إلى الحق **وفي العقيدة** إلى الجوهر **وفي الذات إلى علوّ الشأن وكبر النّفس، وفي المجد** إلى عظمة الفكر وغزارة العطاء وعمق النتاج. **ذاك هو محمد بن إدريس الشافعي أحد أئمة المذاهب الإسلامية الكبرى المعروفة.**

●

هو محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن **هاشم بن عبد المطلب** بن عبد مناف بن قصيّ... بن كنانة.. بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أد بن أدد. وذكر ياقوت أن «**هاشم هذا الذي في نسب الشافعي ليس هو هاشم جدّ النبيّ**»: ذلك هاشم بن عبد مناف فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك.

ولد الشافعي ـ كما روى عن نفسه ـ **بغزة سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م)**، وهي من بيت المقدس على ثلاث مراحل. وفي رواية أخرى **كانت ولادته في عسقلان، وهي على بعد ثلاثة فراسخ من غزّة، «وكلاهما من فلسطين»**[١]. **وفي رأي ياقوت: أن ولادة الشافعي كانت في غزة ثم انتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع. وكانت ولادة الإمام الشافعي يوم مات أبو حنيفة. أما وفاته فكانت سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م)**، وهو ابن

---

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ٢٣٩٤.

أربع وخمسين سنة، **وقيل**: «وهو ابن ثمان وخمسين سنة» بتقديم وتأخير في التواريخ.

قال الشافعي: «ولدت باليمن ـ لأن غزة وعسقلان من قبائل اليمن»[١] ـ فخافت أمي عليّ الضّيعة فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك.

كان الشعر والنحو والغريب أول ما طلبه الشافعي من العلم بل أهم ما استحصف[٢] في نيله كما ذكر ياقوت برواية الزبير بن بكار عن مصعب بن عبد الله بن الزبير[٣] قال ابن بكار: فقلت ـ للشافعي ـ إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به[٤].

وكان مالك بن أنس وهو من هو في الفقه وعلوم الدين وصاحب المذهب المعروف باسمه **رأسّ شيوخ الشافعي، بفضله تحوّل من العلوم اللسانية والشعر إلى علوم الشريعة فكان مصلياً ثم بات مجلّياً**[٥] **في هذا الميدان** بعد أن أخذ عن كثيرين من مشايخ المدينة وعلماء العراق ومنهم محمد بن الحسن الذي انقطع إليه مدّة سنين.

وللشافعي رواية طويلة في وصف مسيرته العلمية وكيف استهلّ بالآداب وكيف جدّ بعد ذلك في طلب المعرفة الدينية، مبتدئاً بـ «الموطّأ» قبل أن يأذن له صاحب الموطّأ مالك بن أنس بالأخذ عنه والجلوس إليه.

في حديث الشافعي عن نفسه وحداثته نستشف ذكاءه وقوة حافظته وشغفه بالدرس وملازمته هذيلاً[٦] **في البادية سبع عشرة سنة يتعلم كلامها ويأخذ طبعها لأنها أفصح العرب**. هكذا شاء قدر الشافعي قبل أن يتألق نجمه في الفقه والإفتاء والحديث **أن يملأ كنانته بأخبار العرب وأيامهم من ينابيع التراث العربي الثرّة وقراح سلسبيلها،** من مسارح أرض الهذليين «يرحل ـ برحيلهم، ـ وينزل ـ بنزولهم»[٧].

ومن طريف ما حدّث به الإمام حول هذه المرحلة من عهد الطلب أنه: **كان**

---

(١) م. ن ص ٢٣٩٤، نقلاً عن أبي عثمان ابن الشافعي.

(٢) **استحصف: استحكم.**

(٣) م. ن ص ٢٣٩٤.

(٤) م. ن ص ٢٣٩٤.

(٥) **مجلياً في الميدان**: سابقاً فيه.

(٦) هذيلاً: أي بني هذيل.

(٧) معجم الأدباء لياقوت (٦/ ٢٣٩٥).

يتلقط الخزف والرقوق وكرب النخل وأكتاف الجمال[1] يكتب فيها. وأنه كان يأتي الدواوين يستوهب منها الظهور فيكتب فيها، كما كان يملأ حباباً كانت لأمه فيملأها بالأخبار والأحاديث. **فكان في هذا أسبق من أبي العتاهية في كتابة منظوماته على كسر الخزف والجرار**.

ولو شئنا أن نطنب في تعداد ما امتلك الشافعي من نواصي العلوم في مختلف فنونها وأغراضها لسقنا ما رواه ياقوت من خبره في مجلس الرشيد، **إلا أننا نكتفي بما قاله الشافعي حين سأله الخليفة عن علمه بالقرآن والنجوم والأنساب والمواعظ فقال**: **«عن أي علوم ـ القرآن ـ تسألني، عن حفظه فقد حفظته.. وعرفت وقفَه وابتداءه وناسخَه ومنسوخه وليليّه ونهاريّه ووحشيّه وإنسيّه وما خوطب به العام يراد به الخاص وما خوطب به الخاص يراد به العام.. ـ أما النجوم؟** ـ: فإني لأعرف منها البريّ من البحريّ والسهليّ والجبليّ والفيلق والمصبح وما تجب معرفته ـ **وأما الأنساب؟** ـ: فإني لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين[2]...

وليس أدل على علو كعب الشافعي ـ في أبواب العرفان وطول باعه ورسوخ قدمه في القضايا الفقهية ودراسة الحديث والقدرة على التأويل ـ **من أخبار تلك المناظرات التي خاضها ورجح بها ميزانه** بينما شالت موازين خصومه ومناظريه ومن ألمعهم إسحاق بن راهوية[3].

•

حظي الشافعي ـ لما حباه الله من المواهب البهية ومكاسب العلم السنيّة والسيرة الشريفة والشمائل السامية العفيفة ـ بأعجاب الدارسين وثناء النخبة من المؤرخين **فقال البيهقي**[4]:

«اجتمع للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره فأول ذلك شرف نفسه ومنصبه وأنه من رهط النبيّ ﷺ، ومنها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع، ومنها سخاوة النفس ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمه، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه، ومنها حفظه لكتاب الله وحفظه لأخبار رسول الله ﷺ،

---

(١) يشير إلى قطع الفخار والجعد وأوراق الجريد وعظام الجمال التي اتخذها للكتابة.

(٢) كتاب المناقب للبيهقي (١/ ١٣٢ ـ انظر معجم الأدباء لياقوت (٦/ ٢٣٩٧).

(٣) انظر طبقات السبكي (٢/ ٨٣).

(٤) البيهقي (المناقب): ١/ ٥٥ و ٢/ ٣٢٤.

ومعرفته بسير النبي ﷺ وبسير خلفائه، ومنها كشفه لتمويه مخالفيه، ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة ومنها ما اتّفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد الله أحمد بن **محمد بن حنبل** في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة، ومثل سليمان بن داود **الهاشمي** وعبد الله بن الزبير **الحميدي** والحسين الفلاّس وأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، والحسن بن محمد بن الصباح **الزعفراني**، وأبي يعقوب يوسف بن **يحيى البويطي**، وحرملة بن يحيى **التجيبي** والربيع بن سليمان **المرادي**. . . وابن أبي الجارود. . وابن سريج. . **والخلاّل**. . **وابن سلام**، والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى **المزني**.

•

توزعت حياة الشافعي بين تاريخ مولده وتاريخ وفاته وعهدي الطلب والأستاذية **بين فلسطين واليمن والحجاز والعراق ومصر وحلّ في العديد من البلدان طالباً وإماماً كما تقدّم. وحين قدم إلى مصر في الأعوام الخمسة الأخيرة من حياته** [١٩٩ ـ ٢٠١ هـ = (٨١٤ ـ ٨١٩ م)] بلغ أعلى مراتب الشهرة والألمعية عندما **استوى مذهبه راسخ البنيان سامق الأفنان بين مذاهب الشريعة الإسلامية. وفي جامع الفسطاط أخرج الشافعي من كنانة إبداعه أحدث كتبه يتوّجها كتابه «الأم»** الذي كان الكتاب الجامع **لمذهبه القائم على الكتاب والسنّة والقياس وإجماع الأئمة** وقد أوردنا في السياق أسماء العلماء من المصريين الذين كان لهم شرف التتلمذ له وفيهم الجيزي، والبويطي والمرادي.

ورواة كتب الشافعي أكثر من أن يعدّوا **يكفي تعداد الأفذاذ منهم وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل وأبو ثور والزعفراني والكرابيسي** من علماء بغداد. قال ياقوت: **«كان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه»**[(١)]، قال الزعفراني وهو من نخبة أتباعه «كان أصحاب الحديث رقوداً حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا»، والسرّ في ذلك أن الشافعي كان يركّز في آرائه على القرآن والسنة **ويحضّ على الأخذ منهما قبل اللجوء إلى القياس**، وسنده في هذا هو قوله تعالى: **﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[(٢)]. بكل هذه القيم الخلقية والعلمية تبوّأ الشافعي أرقى المراتب في الحديث والتشريع واشتهرت فتاويه وعمّت

---

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت ٦/ ٢٤١٥ ـ ٢٤١٦.

(٢) القرآن الكريم سورة الحشر الآية ٧.

الأمصار، كما تعزّز مذهبه بين سائر المذاهب.

لعلّ العنوان الأبرز في شخصية الشافعي العطاء الفكري غير المحدود البارز في آثاره التي تتجاوز المائة كتاب والتي أثبتت المراجع تفصيلها وبينها معجم الأدباء لياقوت.

ومن أهم هذه الآثار كتب: الطهارة ـ الإمامة ـ صلوات العيدين والاستسقاء والكسوف ـ الزكاة الكبير ـ المناسك ـ الرسالة ـ أحكام القرآن ـ اختلاف الحديث ـ الشهادات ـ ردّ المواريث ـ الوصايا الكبير ـ الولاء والحلف ـ الصداق ـ إباحة الطلاق ـ أدب القاضي ـ الشروط ـ الغصب ـ الاستحقاق ـ الأقضية ـ الصلح ـ الحدود ـ الوليمة ـ الضحايا ـ الصدقات ـ خلاف مالك والشافعي ـ الاقرار بالحكم الظاهر ـ الأجناس ـ مسألة الجنين ـ وصية الشافعي ـ ذبائح بني إسرائيل ـ التفليس ـ الحوالة والكفالة ـ الفيء ـ العقول ـ الأولياء ـ كتاب الأم...

●

كان الشافعي يقول على غرار قول أبي العتاهية لو شئت لجعلت كل كلامي شعراً. **كان ذا شاعرية وذا بديهة في الشعر** ولكنّه حين تحوّل إلى رياض العلوم الدينيّة عَقَل لسان شعره واقتصر على الأبيات والمقطوعات القصيرة **يطلقها بين يدي آرائه ويجعلها كالأطواق في جيد آدابه.**

لم تتباين الآراء حول شاعرية الشافعي كما تباينت بالقياس إلى شعر الإمام عليّ. ولا نكاد نجد شعراً منسوباً إليه بالكثرة التي عرفناها في ديوان الإمام علي[(١)]. إلا أن الرواة أثبتوا من شعره مقطوعات كثيرة أوردوها في ديوان الإمام عليّ مسبوقة بقولهم: «وينسب إلى الإمام عليّ». **فإذا تركنا شعر المناسبات الذي يتصل غالباً بظروف حياة الشاعر وسيرته**، فالشافعي لم يكثر من هذا اللون **لأن سيرته كانت محدودة في إطار القضاء والحديث والافتاء**. وهذا قدر ضئيل المساحة **بالنظر إلى الأحداث الجسام التي رافقت حياة أمير المؤمنين علياً عليه السلام** وعهد خلافته.

لعلّ الفروق في الأسلوب والصور الشعرية والمعاني القائمة بين شعر الإمامين إنما مردّها أحياناً تصميم الشافعي في فجر تحصيله العلمي على آداب العرب وأخبارهم وشعرهم وصحبته شعراء بني هذيل قرابة العقدين من الزمن **فاكتسب بذلك**

---

(١) أنظر تحقيقنا لديوان الامام عليّ عليه السلام، منشورات دار الأرقم بن أبي الأرقم.

قوّة في التعبير وأناة في الأداء لكنّه لم ينزلق إلى الخشونة ولم ينأ عن البيان. كان المبرّد يقول: **كان الشافعي من أشعر النّاس وآدب النّاس**».

وذكر البيهقي ـ نقلاً عن الأصمعي ـ أنه قال: «**صحّحت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي**».

وأكد مصعب الزبيري أن أباه والشافعي **كثيراً ما تناشدا الشعر**، وكان محمد بن إدريس **يأتي على شعر بني هذيل حفظاً**.

ولم يأخذ الأصمعي عن الشافعي شعر هذيل وحسب بل شعر الشنفرى أيضاً. ومن الأهمية بمكان الالتفات إلى هذه الظاهرة الهامة وهي أنّ **إلمام الشافعي بغريب الشعر لم يشدّه إلى الغموض والتعقيد اللفظي بل ربّما كان من دواعي حرصه** على المعاني القريبة بأسهل سبل الأداء وأكثرها ملاءمة للذوق والسماع.

وشعر الشافعي مدين في جانب من جوانبه إلى إلمامه الجيد باللغة حتى قال ابن هشام: «جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلّم بكلمة إلا اعتبرها المعتبر لا يجد في العربية أحسن منها، وقال كذلك: للشّافعي لغة يحتج بها. وكانت لغته فتنة».

إن السهولة والوضوح في شعر الشافعي عنوان بلاغة وليس مظهر ضعف أو تقصير لأنه كان يملك القدرة على الجزالة وكان يمارسها في النثر ليجعل شعره أعلق بألسن النّاس وأثبت في أذهانهم وأكثر سيرورة على الزمن.

ولم تكن أشعاره ـ الأبيات، أو المقطّعات ـ من دلائل النفس الشعري المحدود أو القصير بل تجاوباً مع نزعته إلى شرف المعنى. فهو أقرب إلى بابي الخاطرة والحكمة كما ترى من موضوعاته وأبوابه التي تدور حول حكم القضاء والقدر والسماحة والمروءة وشجاعة الرأي وعظة الأيام ومخالفة الأهواء والانصياع إلى منطق العقل وغلبة الحظوظ على البشر وعدم الاغترار بالدنيا، لأن لذائذها إلى زوال ونعمها إلى تبدّد وعدم. ويلامس شعر الشافعي بعض جوانب الوجدان دونما سطحية أو ابتذال يصرفانه عن مكانته في القضاء والفتوى وهو مقام يلزم صاحبه بالوقار ويفرض عليه أن يصون شعره من الإسفاف أو الخوض طويلاً في شؤون القلب ولهفة الشوق والصبابة. فإذا فعل فهو يحرص على حسن القصد كمثل قوله:

أنت حَسبي وفيك للقلب حسب ... ولحسبي إن صحّ لي فيكَ حَسْبُ
لا أبالي متى ودادُك لي صحّ ... من الدّهر ما تعرّض خَطْبُ

ومردّ هذا الوجد المهذّب في شعر الشافعي نفس عانقتها التقوى والصلاح وهو

القائل:

يُخاطِبني السّفيه بكل قُبْحِ ... فأَكرهُ أن أكونَ له مُجيبا
يزيد سفاهةً فأزيد حِلْما ... كَعودٍ زادَه الإحراقُ طيبا

والشافعي يشدّد في شعره على الوفاء للاخوان ويدعو إلى الصبر على بلوى الزمان مؤمناً بأن لا ثبات لحال أو استمرار لواقع أو أوان. ومن عناوين خواطره اعتبار ما للصمت من فضيلة، والإيمان برحمة الله وعفوه، وإدراكه ما في النفس البشريّة من ميل إلى الشر وحبّ للغدر وولع بالشماتة وانفطار على النميمة والحسد، ولذا حثّ على المكارم ودعا إلى التسامي فوق الدّنايا كما دعا إلى عدم التهافت أمام المصائب والرزايا.

●

في اعتقادنا أنّ ما قاله محمد بن دريد في رثاء الشافعي يحيط إحاطة جيّدة ليس فقط بروائع سيرته بل يعدّد أيضاً محامده ومحاور أدبه وشعره. قال ابن دريد:

ألم تر آثار ابنِ إدريسَ بعْدَهُ ... دلائلُها في المشكلات لوامعُ
معالِمُ يفنى الدهرُ وهْيَ خوالدٌ ... وتنخفضُ الأعلامُ وهْيَ فوارعُ
مناهجُ فيها للهدى مُتَصَرَّفٌ ... مواردُ فيها للرشادِ شرائعُ
ظواهرُها حُكمٌ ومستبْطَناتُها ... لما حكم التفريقُ فيه جوامعُ
لرأي ابن إدريسَ ابن عمٍّ محمدٍ ... ضياءٌ إذا ما أظلم الخطب ساطعُ
إذا المُفْظِعَاتُ المشكلاتُ تشابهتْ ... سما منه نورٌ في دجَاهنَّ لامعُ
أبى اللهُ إلا رفعَهُ وعُلُوَّهُ ... وليسَ لما يُعْليه ذو العرش واضعٌ
تَوَخَّى الهدى واستنقذتْه يدُ التقى ... من الزيغ إنَّ الزيغَ للمرءِ صارعُ
ولاذَ بآثارِ الرسولِ فحكمُهُ ... لحكمِ رسول اللهِ في الناس تابعُ
وعوَّلَ في أحكامِهِ وقضائِهِ ... على ما قضى في الوحي والحقّ ناصعُ
تَسَرْبَلَ بالتّقوى وليداً وناشئاً ... وخُصّ بلبّ الكهْل مُذْ هو يافِعُ
وهُذِّب حتى لم تُشِر بفضيلةٍ ... إذا التمست إلاَّ إليه الأصابعُ
فمنْ يكُ علمُ الشافعي إمامَهُ ... فمرتعهُ في ساحة العلم واسعُ

سلامٌ على قبر تضمَّن جِسْمَهُ   وجادت عليه المُدْجناتُ الهوامعُ
لئن فجعْتَنا الحادثاتُ بشخصه   لهنّ لما حُكّمن فيه جوامعُ
فأحكامه فينا بدورٌ زواهِرٌ   وآثاره فينا نجوم طوالع[1]

●

إنّ ديوان الإمام الشافعي الذي عنينا بجمعه وتبويبه ـ تبعاً لحروف الهجاء وحركات الإعراب ـ والذي تناثرت أبياته ومقطعاته في مصادر شتّى أدبية ولغوية وتاريخية. . . يشكل نموذجاً لشاعرية رجل الفقه والقضاء الذي التزم بأحكام الدين قرآناً وحديثاً. والشافعي من «مدرسة أصحاب الحديث»، لكنه وفّق ـ مع ذلك ـ بيّن اتجاهه هذا واتجاه أصحاب مدرسة الرأي، منتصراً في الدرجة الأولى للقرآن والسنة. وشعره في مجمله ينهل من هذين الينبوعين الدّافقين ومن سيرة الراشدين وكبار الصحابة والأئمة.

إن قارئنا الكريم يلاحظ ولا ريب عنايتنا بالتقديم للديوان وضبطه ضبطاً دقيقاً يساعد على كشف المعاني والدلالات اللفظيّة، كما حرصنا على إثبات الحواشي والتعليق عليها وتعيين مصادر الآراء والشواهد، التزاماً بنا بالمنهج العلمي في الشرح والتحقيق. وهكذا نلحق **«ديوان الشافعي» بالدواوين التي حققناها بعناية داري القلم والأرقم بن الأرقم سائلين الله العون لاستكمال هذه السلسلة على النحو الأمثل الذي ننشده. والله نعم المولى ونعم النّصير.**

٢٠ محــرّم ١٤١٦
١٩ حزيران ١٩٩٥

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣٠٩).

ترجمة الشافعي

في «معجم الأدباء»، لياقوت الحموي

محمد بن إدريس الشافعي الإِمام: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد.

وهاشم هذا الذي في نسب الشافعي ليس هو هاشم جد النبي ﷺ ذاك هاشم بن عبد مناف فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك.

ولد فيما حكاه الشافعي عن نفسه أنه قال: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وَحُمِلْتُ إلى مكة وأنا ابن سنتين، قال: وكانت أمي من الأزد، وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل.

وفي رواية أخرى عن الشافعي أنه قال: ولدتُ بعسقلان، وعسقلانُ من غزةَ على ثلاثة فراسخ، وكلاهما من فلسطين.

وكان مولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة، ولا اختلافَ في أن وفاة أبي حنيفة كانت سنة خمسين ومائة، ومات الشافعي رحمة الله عليه في رجب سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة، وكان قدومه مصر سنة ثمان وتسعين ومائة.

وقد روى الزعفراني عن أبي عثمان ابن الشافعي أن الشافعي مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وفي رواية أن الشافعي قال: ولدت باليمين فخافت أمي عليَّ الضيعةَ فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك، وتأوّل بعضهم قوله باليمن بأرضٍ أهلها وسكانها قبائل اليمن. وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها. قلت:

وهذا عندي تأويلٌ حَسَنٌ إنْ صَحَّت الرواية وإلا فلا شكّ أنه ولد بغزة وانتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع.

وأما طلبه للعلم فحدَّث الزبير بن بكار عن عمّه مصعب بن عبد الله بن الزبير أنه خرج إلى اليمن فلقي محمد بن إدريس الشافعي وهو مستحصف[1] في طلب الشعر والنحو والغريب، قال فقلت له: إلى كم هذا؟ لو طلبتَ الحديثَ والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به؛ قال: وكان فتى حلواً، فما ترك عن مالك بن أنس إلا الأقل ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه، ثم شخص إلى العراق فانقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه، ثم جاء إلى المدينة بعد سنين؛ قال: فخرجت به إلى مكة فكلمتُ له ابن داود وعرَّفته حاله الذي صار إليه، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

حدّث الآبري[2] وهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري السّجزي بن يحيى البصري ويحيى بن زكريا بن حيويه النيسابوري، كلاهما عن الربيع بن سليمان، وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية، قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت أنا في الكتّاب أسمع المعلم يلقّنُ الصبيّ الآية فأحفظها أنا، ولقد كان الصبيان يكتبون أمليتهم[3] فإلى أن يفرغَ المعلم من الإملاء عليهم، قد حفظت جميع ما أملى، فقال لي ذات يوم: ما يحلُّ لي أن آخذ منك شيئاً. قال: ثم لما خرجتُ من الكتَّاب كنت أتلقط الخزف والرقوق[4] وَكَرَبَ النخل وأكتافَ الجمال أكتبُ فيها الحديث وأجيء إلى الدواوين فأستوهبُ منها الظهورَ فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءةً حديثاً. ثم إني خرجت عن مكة[5] فلزمت هُذَيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصحَ العرب. قال: فبقيت فيهم سبعَ عَشْرَةَ سنة أرحلُ برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعتُ إلى مكة جعلتُ أُنْشِدُ الأشعار وأذكرُ الآدابَ والأخبار وأيام العرب، فمرَّ بي رجل من الزبيريين[6] من بني عمي فقال لي: يا أبا عبد الله عزَّ عليَّ ألا يكونَ مع هذه اللغة

---

(١) م: مستحض.

(٢) السند والرواية في البيهقي ١: ٩٤.

(٣) م: ولقد كنت ويكتبون أئمتهم.

(٤) م: والدفوف.

(٥) تكملة الرواية في البيهقي ١: ١٠٢.

(٦) في بعض أصول البيهقي كما ورد؛ وفي المتن: الزهريين.

وهذه الفصاحة والذكاء فقه فتكونَ قد سدتَ أهلَ زمانك، فقلت: فمن بَقِيَ ممن يُقْصَدُ[(١)]؟ فقال لي: مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ، قال: فوقع ـ ذلك ـ في قلبي فعمدت إلى «الموطأ» فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً، قال: ثم دخلت إلى والي مكة وأخذتُ كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس، قال: فقدمتُ المدينةَ فأبلغتُ الكتابَ إلى الوالي، فلما أن قرأ قال: يا فتى إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أَهْوَنُ عليَّ من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلستُ أرى الذلَّ حتى أقفَ على بابه، فقلت: أصلح الله الأمير إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر، قال: هيهات، ليت أني إذا ركبتُ أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعضَ حاجتنا؛ قال: فواعدته العصر، وركبنا جميعاً فوالله كان كما قال: لقد أصابنا من تراب العقيق، قال: فتقدم رجلٌ الباب فخرجت إلينا جاريةٌ سوداءُ فقال لها الأمير: قولي لمولاك إني بالباب، قال: فدخلتْ فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعةٍ يخرجْ إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفتَ يومَ المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له إن معي كتابَ والي مكة إليه في حاجة مهمة، قال: فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعته، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابةُ والوقار، وهو شيخٌ طويلٌ مسنونُ اللحية، فجلس وهو متطلّسٌ، فرفع إليه الوالي الكتابَ فبلغ إلى هذا: «إن هذا رجلٌ من أمره وحاله، فتحدثه وتفعل وتصنع». فرمي بالكتاب من يده ثم قال: سبحان الله، وصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل[(٢)]؟ قال: فرأيت الوالي وقد تهيَّبه أن يكلمه، فتقدمتُ إليه وقلت: أصلحك الله، إني رجلٌ مطّلبيٌّ ومن حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إليَّ ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما أسمك؟ فلما أن سمع كلامي نظر إليَّ ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما أسمك؟ قلت: محمد، فقال لي: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكونُ لك شأنٌ من الشأن، ثم قال: نعم وكرامة، إذا كان غداً تجيءُ ويجيءُ من يقرأ لك، قال فقلت: أنا أقوم بالقراءة، قال: فغدوتُ عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلّما تهيبتُ مالكاً وأردت أن أقطع أعجبه حُسْنُ قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زدْ، حتى قرأته في أيام يسيرة.

ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي

---

(١) م: بقي نقصد.

(٢) قد تقرأ: بالرسائل.

بها الشأن، وكان بها والٍ من قبل الرشيد وكان ظلوماً غشوماً وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم. قال: وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا. فكتب الوالي إلى الخليفة يقول: إن ناساً من العلوية قد تحركوا[1]. وإني أخاف أن يخرجوا وإن ها هنا رجلاً من ولد شافع المطلبيّ لا أمرَ لي معه ولا نهي. قال: فكتب إليه هارون أن احملِ هؤلاء واحمل الشافعي معهم فقرنت معهم؛ قال: فلما قدمنا على هارون الرشيد أُدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن، قال: فدعا هارون بالنطع والسيف وضرب رقابَ العلوية ثم التفت محمد بن الحسن فقال: يا أمير المؤمنين هذا المطلبيّ لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجلٌ لسن، فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المدعوّ، وأنت القادر على ما تريد مني ولستُ القادرَ على ما أريده منك، يا أمير المؤمنين ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه والآخر يراني عبده أيهما أحبّ إليّ؟ قال: الذي يراك أخاه، قال قلت: فذاك أنت يا أمير المؤمنين، قال فقال لي: كيف ذاك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنكم ولد العباس وهم ولد عليّ، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم، قال: فَسُرِّيَ ما كان به، فاستوى جالساً فقال[2]: يا ابن إدريس كيف عِلْمُكَ بالقرآن؟ قلت: عن أيِّ علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وَقْفَهُ وابتداءه وناسخه ومنسوخه وليليّه ونهاريّه ووحشيَّهُ وإنسيّه وما خوطب به العام يراد به الخاص وما خوطب به الخاص يراد به العام؛ فقال لي: والله يا ابن إدريس لقد ادَّعيتَ علماً فكيف علمك بالنجوم؟ فقلت: إني لأعرف منها البريَّ من البحريَّ والسهليَّ والجبليّ والفيلق والمصبح وما تجبُ معرفته، قال: فكيف علمك بأنساب العرب؟ قال فقلت: إني لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين، قال: لقد ادَّعيت علماً، فهل من موعظة تعظُ بها أمير المؤمنين؟ قال: فذكرت موعظةً لطاوس اليماني[3] فوعظته بها فبكى وأمر لي بخمسين ألفاً. وحملت على فرس، وركبت من بين يديه وخرجت، فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حُجَّابِ أمير المؤمنين وبّوابيه، قال: فلحقني هرثمة وكان صاحبَ هارون فقال: اقبل هذه مني، قال فقلت له: إني لا آخذ العطية ممّن هو دوني وإنما آخذها ممن هو فوقي، قال: فوجد في نفسه، قال: وخرجتُ كما أنا حتى جئت منزلي، فوجهت إلى كاتب محمد

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) قارن بالبيهقي ١: ١٣٢.

(٣) جعل البيهقي الموعظة للشافعي نفسه وأورد نصّها.

بن الحسن بمائة دينار وقلت: اجمع الوراقين الليلةَ على كتب محمد بن الحسن وأنسخها لي ووجّه بها إليَّ، قال: فَكُتِبَتْ لي وَوُجِّه بها إليَّ.

قال: اجتمعنا أنا ومحمد بن الحسن على باب هارون، وكان يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم، قال: واجتمعنا في ذلك المكان، قال: وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكّنه، قال: فاندفع يعرِّضُ بي ويذمُّ أهلَ المدينة، فقال: مَن أهلُ المدينة؟ وأيُّ شيء يحسن أهل المدينة والله لقد وضعتُ كتاباً على أهل المدينة كلها لا يخالفني فيه أحد، ولو علمتُ أن أحداً يخالفني في كتابي هذا تبلغني إليه آباط الإبل لصرتُ حتى أَرُدَّ عليه، قال الشافعي: فقلت إن أنا سكتُّ نكَّستُ رؤوسَ من ها هنا من قريش، وإن أنا رددت عليه أسخطتُ عليَّ السلطان، ثم إني استخرتُ الله في الردِّ عليه، فتقدمت إليه فقلت: أصلحك الله، طَعْنُكَ على أهل المدينة وذمك لأهل المدينة إن كنت أردت رجلاً واحداً وهو مالك بن أنس فألاً ذكرت ذلك الرجلَ بعينه ولم تطعن على أهل حرم الله وحرم رسوله، وكلُّهم على خلاف ما ادّعيته. وأما كتابك الذي ذكرتَ أنك وضعته على أهل المدينة فكتابك من بعد بسم الله الرحمن الرحيم خطأٌ إلى آخره: قلتَ في مسألة كذا وكذا كذا وهو خطأ، فاصفرَّ محمد بن الحسن ولم يَحِرْ جواباً. وكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد بما كان، فضحك وقال: ماذا ننكر لرجل من ولد المطّلب أنْ يقطع مثل محمد بن الحسن. قال فعارضني رجل من أهل المجلس من أصحابه فقال: ما تقولُ في رجل دخل منزلَ رجلٍ فرأى بطةً ففقأ عينها وماذا يجبُ عليه؟ قال قلت: ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة وقيمتها وقد ذهبت عينها فيقوَّم ما بين القيمتين. ولكن ما تقول أنا وصاحبك في رجلٍ محرم نظر إلى فرج امرأة فأنزل؟ قال: ولم يكن لمحمد حذاقة بالمناسك، قال فصاح به محمد وقال له: ألم أقلْ لك لا تسأله؟ قال: ثم أدخلنا على الرشيد، فلما أن استوينا بين يديه قال لي يا أبا عبد الله تسأل أو اسأل؟ قال قلت: ذاك إليك، قال: فأخبرني عن صلاة الخوف أواجبةٌ هي[1]؟ قلت: نعم، فقال: ولم؟ فقلت: لقول الله عزّ وجل: **﴿إِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾** [النساء: ١٠٢] فدلّ أنها واجبة. فقال: وما تنكر من قائل قال لك إنما أمر الله تعالى نبيه ﷺ وهو فيهم، فلما زال عنهم النبي ﷺ زالت تلك الصلاة، فقلت: وكذلك قال الله عز وجل لنبيه **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾** [التوبة: ١٠٣] فلما أن

---

(١) قارن بالبيهقي ١: ١٢٨.

زال عنهم النبي ﷺ زالت عنهم الصدقة. فقال: لا، قلت: وما الفرق بينهما والنبي ﷺ هو المأمور بهما جميعاً؟ قال: فسكت ثم قال: يا أهل المدينة ما أجرأكم على كتاب الله، فقلتُ: الأجرأ على كتاب الله من خالفه، قال فقد قال الله عز وجلَ ﴿وَأَشهدوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكم﴾ [الطلاق: ٢] فقلتم أنتم: نقضي باليمين مع الشاهد، فقلت: لكنا نقول بما قال الله ونقضي بما قضى به رسول الله ﷺ، ولكنك أنت إذا خالفت قضاء رسول الله ﷺ فقد خالفتَ كتابَ الله. قال: وأين لكم ردُّ اليمين؟ قال قلت: سنة رسول الله ﷺ، قال: وأين؟ قلت: قصة حويصة ومحيصة وعبد الرحمن حين قال لهم رسول الله ﷺ في قصة القتيل تحلفون وتستحقون دمَ صاحبكم، قالوا: لم نشهد ولم نعاين؛ قال: فيحلف لكم يهود، فلما أن نكلوا ردّ اليمين إلى اليهود. قال فقال لي: إنما كان ذلك استفهاماً من رسول الله ﷺ، قال فقلت: يا أمير المؤمنين هذا بحضرتك يزعم أن رسول الله ﷺ يستفهم من اليهود، فقال الرشيد: ثكلتك أمك يا ابن الحسن، رسول الله ﷺ يستفهم من اليهود؟ نطعٌ وسيفٌ، قال فلما رأيت الجدّ من أمير المؤمنين قلت: مهلاً يا أمير المؤمنين فإن الخصمين إذا اجتمعا تكلَّم كلُّ واحدٍ منهما بما لا يعتقده ليقطعَ به صاحبه وما أرى أن محمداً يرى نقصاً لرسول الله ﷺ، قال: فسريتُ عنه، قال: ثم ركبنا جميعاً وخرجنا من الدار، قال فقال لي: يا أبا عبد الله فعلتَها؟ قال: فقلت: فكيف رأيتها بعد ذلك؟

وللشافعي رضي الله عنه مع محمد بن الحسن مناظرات في عدة مواطن اقتصرنا على هذه قصداً للاختصار.

مناظرة إسحاق بن راهويه(١) مع الشافعي رضي الله عنه:

نقلت من «تاريخ نيسابور» للحاكم ومن «كتاب مناقب الشافعي» للآبري وجمعتُ بين الخبرين قصداً للاختصار مع نسبة كلٍّ قول إلى قائله(٢): حدث الآبري بإسناده، قال إسحاق بن راهويه: كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي: يا أبا يعقوب قم حتى أريكَ رجلاً لم تر عيناك مثله، قال: فقمت فأتى بي فناءَ زمزم، فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض، تعلو وجهه السمرةُ، حسن السمت حسن العقل، وأجلسني إلى جانبه، فقال له: يا أبا عبد

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه، انظر طبقات السبكي ٢: ٨٣ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى.

(٢) انظر طبقات السبكي ٢: ٨٩ في هذه المناظرة، وقارن بمناقب البيهقي ١: ٢١٣ وقال البيهقي ١: ٢١٤ قد ذكرنا حكاية مناظرتهما في كتاب المعرفة أتم من هذا.

الله هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي فرحَّبَ بي وحيّاني، فذاكرته وذاكرني فانفجر لي منه علم وأعجبه حفظي، قال: فلما أن طال مجلسنا قلت له: يا أبا عبد الله قم بنا إلى الرجل، قال: هذا هو الرجل، فقلت له: يا سبحان الله أقمنا من عند رجل يقول «حدثنا الزهري» فما توهمتُ إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريباً منه، فأتيت بنا إلى هذا الشاب (أو هذا الحديث)[1]. فقال لي: يا أبا يعقوب اقتبس من الرجل فإنه ما رأت عيناي مثله. قال الآبري، قال إسحاق: فسألته عن سُكْنَى بيوتِ مكة (أراد الكرى) فقال جائز. فقلت: أي يرحمك الله، وجعلتُ أذكر له الحديثَ عن عائشة وعبد الرحمن وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ومن كره كرى بيوتِ مكة، وهو ساكتٌ يسمع، وأنا أسردُ عليه، فلما فرغتُ سكتَ ساعة وقال: أي ويرحمك الله، أما علمتَ أن النبي ﷺ قال: هل ترك لنا عقيلٌ من رباع أو دار، قال: فوالله ما فهمت عنه ما أراد بها ولا أرى أن أحداً فهمه. (قال الحاكم) فقال إسحاق: أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم فقلت: حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وأخبرنا أبو نعيم وغيره عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنه لم يكن يرى ذلك. (قال الحاكم) ولم يكن الشافعي عرف إسحاق فقال الشافعي لبعض من عرفه: من هذا؟ فقال: هذا إسحاق بن إبراهيم بن الحنظلي بن راهويه الخراساني، فقال له الشافعي: أنت الذي يزعم أهلُ خراسان أنك فقيههم؟ قال إسحاق: هكذا يزعمون، قال الشافعي: ما أحوجني أن يكونَ غيرك في موضعك فكنتُ آمر بَعَرْكِ أذنيه.

وقال الحاكم في خبر آخر: قال له الشافعي لو قلتُ قولك احتجتُ إلى أن أسلسل، أنا أقول لك «قال رسول الله ﷺ» وأنت تقول «عطاء وطاوس ومنصور وإبراهيم والحسن وهؤلاء لا يرون ذلك» بل [ليس] لأحد مع رسول الله ﷺ حجة. قال إسحاق لبعض من معه من المراوزة بلسانهم «مَرْدَكَ لاَ كما لاَ نِيست»[2] قرية عندهم بمرو يدّعون العلم وليس لهم علمٌ واسع.

وقال الآبري قال إسحاق لبعض من معه: الرجل مالكاني، ومالكان قرية من قرى مرو أهلها فيهم سلامة.

قال الحاكم في خبره، فلما سمع الشافعي تراطنه علم أنه قد نسبه إلى شيء

(١) م: الحديث.

(٢) يعني: الرجل من أهل قرية «لاكمالان» وانظر معجم البلدان.

فقال: تناظر؟ وكان إسحاق جريئاً فقال: ما جئت إلا للمناظرة، فقال له الشافعي: قال الله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم﴾ الآية [الحشر: ٨] نسب الدار إلى المالكين أو إلى غير المالكين؟ قال إسحاق: إلى المالكين، قال الشافعي: فقوله عزّ وجل أصدقُ الأقاويل، وقد قال رسول الله ﷺ من دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، أَنَسَبَ رسول الله ﷺ الدار إلى مالك أو إلى غير مالك؟ قال إسحاق: إلى مالك، فقال الشافعي: وقد اشترى عمر بن الخطّاب دورَ مكة وجماعةً باعوها، وقال إسحاق له: قال الله عز وجل ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] فقال الشافعي: اقرأ أول الآية، قال ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاس سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] قال الآبري، قال الشافعي: والعكوف يكون في المسجد، ألا ترى إلى قوله ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] والعاكفون يكونون في المساجد، ألا ترى إلى قوله تعالى جل وعز وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ في الْمَسَاجِدِ فدل قوله عز وجل سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ في المسجد خاص، فأما من ملك شيئاً فله أن يكري وأن يبيع. (قال الحاكم) وقال الشافعي: ولو كان كما تزعم لكان لا يجوزُ أن تُنْشَدَ فيها ضالة، ولا ينحر فيها البدن، ولا تنثر فيه الأرواث، ولكن هذا في المسجد خاصة. قال: فسكت إسحاق ولم يتكلم.

وفي خبر الآبري: فلما تدبرت ما قال من قول رسول الله ﷺ: هل ترك لنا عقيلٌ من رباع أو دار علمتُ أنه قد فهم ما ذهب عنا؛ قال إسحاق: ولو كنت قد أدركني هذا الفهم وأنا بحضرته لعرَّفته ذاك، ثم نظرنا في كتبه فوجدنا الرجل من علماء هذه الأمة.

قال الآبري: وقرأت في بعض ما حكي عن أبي الحسن أنه كان يأخذ بلحيته في يده ويقول: واحَيَائي من محمد بن إدريس الشافعي، يعني في هذه المسألة.

ومن كتاب الحاكم: سمعت أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل الفقيه الأديب الشاشي أبا بكر القفال إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين يقول: دخلتُ على أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة أوّل ما قدمتُ نيسابور، وتكلمت بين يديه وأنا شاب حدث السن، فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: من أهل الشاش، قال لي: إلى من اختلفت؟ قلت: إلى أبي الليث، قال: وأبو الليث هذا أي مذهب يعتقد؟ قلت: حنبلي، فقال: يا بنيّ قل شافعيّ وهل كان أحمد بن حنبل إلا غلاماً من غلمان الشافعي؟ قال: ومات أبو بكر القفال بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة.

ومن كتاب الآبري: حدثني محمد بن عبد الله الرازي، حدثنا الحسن بن حبيب الدمشقي عن محمود المصري، وكان من أفصح الناس، قال: سمعت ابن هشام (قال محمود: وما رأيت بعيني ممن فهمتُ عنه مثل ابن هشام) قال محمود: ورأيتُ الشافعيَّ وأنا صغير، قال محمود، وسمعت ابن هشام يقول[١]: جالستُ الشافعيَّ زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إذا اعتبرها المعتبر لا يجد كلمةً في العربية أحسنَ منها. قال[٢] وسمعت ابن هشام يقول: الشافعي كلامه لغة يُحْتَجّ بها.

وحدّث عن الحسن بن محمد الزعفراني قال: كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحيةً، قال فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي؛ قال: وسمعت أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي الفقيه ببغداد قال: سمعت حسان بن محمد يحكي عن الأصمعي أنه قال[٣]: صححت أشعارَ هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي. قال[٤]: وحكي لنا عن مصعب الزبيري قال: كان أبي والشافعي يتناشدان، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظاً وقال: لا تُعْلِمْ بهذا أحداً من أهل الحديث فإنهم لا يحتملون هذا.

قال الشافعي رضي الله عنه، قال: ما رأيت أحداً أعلمَ بهذا الشأن منّي وقد كنت أحبُّ أن أرى الخليلَ بن أحمد.

وحدث ابن خزيمة قال، سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: كان الشافعي إذا أخذ في العربية قلت: هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الشعر وإنشاده قلت: هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الفقه قلت: هو بهذا أعلم.

وتحدث ابن عيينة[٥] بحديث عن النبي ﷺ أقِرُّوا الطير في مكناتها، قال: وكان الشافعي إلى جنب ابن عيينة، فالتفت إليه سفيان فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قول النبي ﷺ أقروا الطير على مكناتها، فقال الشافعي: إن علم العرب كان في زجر الطير والخطّ والاعتياف، كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظر أولَ طيرٍ يراه فإن سنحَ عن يساره فاجتاز عن يمينه قال هذا طيرُ الأيامن فمضى في حاجته ورأى أنه يستنجحها، وإن سنح عن يمينه فمرّ عن يساره قال هذا طير الأشائم فرجع. وقال

(١) مناقب البيهقي ٢: ٤٣.
(٢) المصدر السابق: ٤٢.
(٣) مناقب البيهقي ٢: ٤٤.
(٤) المصدر السابق: ٤٦.
(٥) حلية الأولياء ٩: ٩٤، ٩٥.

هذه حالة مشئومة، فيشبه قول رسول الله ﷺ أقروا الطير على مكناتها أي لا تهيجوها فإن تهييجها وما تعملون به من الطيرة لا يصنع شيئاً وإنما يصنع فيما توجهون فيه قضاء الله عزّ وجل. قال وكان سفيان يفسره بعد ذلك على ما قال الشافعي:

وحدث الآبري حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الرقي إملاءً، قال حدثنا عبد الواحد بن سعيد عن صالح بن أحمد قال: جاء الشافعي يوماً إلى أبي يعوده، وكان عليلاً، فوثب أبي إليه فقبَّلَ ما بين عينيه ثم أجلسه في مكانه، وجلس بين يديه، قال: فجعل يسائله ساعةً، فلما وثب الشافعي ليركب قام أبي فأخذ بركابه ومشى معه، فبلغ يحيى بن معين، فوجَّه إلى أبي يا أبا عبد الله يا سبحانَ الله اضطرّك الأمر إلى أن تمشي إلى جانب بغلة الشافعي؟! فقال له أبي: وأنت يا أبا زكريا لو مشيتَ من الجانب الآخر لانتفعت به. قال ثم قال أبي: من أراد الفقه فليشمَّ ذنبَ هذه البغلة.

وفي رواية أخرى عن أحمد بن حنبل أنه قال: قدم علينا نعيم بن حماد فحضّنا على طلب المسند، فلما قدم الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء.

ورواية أخرى عن حميد بن الربيع الخراز قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أعلم أحداً أعظمَ منةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، وإني لأدعو الله له في أدبار صلواتي فأقول: اللهم اغفر لي ولوالديّ ولمحمد بن إدريس الشافعي.

وحدّث الحارث بن محمد الأموي عن أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي قال: كنتُ من أصحاب محمد بن الحسن، فلما قدم الشافعي علينا جئته إلى مجلسه شبه المستهزىء فسألته عن مسألة من الدور فلم يجبني وقال لي: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ قلت: هكذا، قال لي: أخطأت، فقلت: كيف أصنع؟ فقال: حدثني ابن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع. قال أبو ثور: فلما كان بعد شهر قال: يا أبا ثور خُذ مسألتك في الدور فإنما منعني أن أجيبك يومئذ لأنك كنت متعنتاً.

وحدث المزني وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله عزّ وجل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول[1]:

---

(١) ديوانه (الزعبي): ٧٨ (يكن): ١٦٠.

فلما قسا قلبي وضاقتْ مذاهبي جعلتُ رجائي نحوَ عفوكَ سلما
تعاظمني ذنبي فلما قَرَنْتُهُ بعفوك ربي كان عفوُكَ أعظما
فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزلْ تجودُ وتعفو منةً وتكرما
فلولاك لم يقدر بابليس عابد فكيف وقد أغوى صفيَّكَ آدما

وحدث الربيع بن سليمان قال: كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقته إذا صلّى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رضي الله عنه.

وحدّث يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال، قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا أبا موسى رضى الناس غايةٌ لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحاً ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فألزمه ودع الناس وما هم فيه.

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال(١): كنا نحضر مجلسَ بشرِ المريسي فكنا لا نقدر على مناظرته، فمشينا إلى أحمد بن حنبل فقلنا له: أئذن لنا في أن نحفظ «الجامع الصغير» الذي لأبي حنيفة نخوضُ معهم إذا خاضوا، فقال: اصبروا فالآن يقدم عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة، قال: فقدم علينا الشافعي، فمشوا(٢) إليه وسألناه شيئاً من كتبه فأعطانا كتابَ اليمين مع الشاهد، فدرسته في ليلتين ثم غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه، فلما رآني قال: ما جاء بك؟ لست(٣) صاحبَ حديث، قال قلت: ذرني من هذا، أيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟ فناظرته فقطعته، فقال: ليس هذا من كيسكم، هذا من كلام رجل رأيته بمكة معه نصفُ عقل أهل الدنيا.

وحدث الربيع بن سليمان قال(٤): كنا عند الشافعي إذ جاءه رجلٌ برقعة فنظر فيها وتبسّم، ثم كتب فيها ودفعها إليه، قال فقلنا: يُسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذا فيها:

سل المفتي المكيَّ هل في تَزَاوُرِ وضمةِ مشتاقِ جُناحُ

---

(١) مناقب البيهقي ١: ٢٠١.

(٢) البيهقي: فمشينا.

(٣) م: يا.

(٤) مناقب البيهقي ٢: ٩٤.

قال وإذا اجابة أسفل من ذلك:

أقولُ معاذَ الله أن يُذْهِبَ التقى ... تلاصُقُ أكبادٍ بهنّ جراحُ

قرأن في أمالٍ أملاها أبو سليمان الخطابي على بعض تلامذته: قال الشيخ(١): كان الشافعي رحمه الله يوماً من أيام الجمع جالساً للنظر فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها:

عفا الله عن عبدٍ أعان بدعوةٍ ... خليلين كانا دائمين على الودِّ

إلى أن مشى واشي الهوى بنميمةٍ ... إلى ذاك من هذا فزالا عن العهدِ

قال: فبكى الشافعي رحمه الله وقال: ليس هذا يوم نظر، هذا يوم دعاء، ولم يزل يقول، اللهم اللهم حتى تفرق أصحابه.

ومثله ما بلغني أن رجلاً جاءه برقعة فيها:

سل المفتيَ المكيَّ من آل هاشمٍ ... إذا اشتد وجدٌ بامرىءٍ كيف يصنعُ

قال فكتب الشافعي تحته:

يداوي هواه ثم يكتمُ وجدَهُ ... ويصبرُ في كلِّ الأمورِ ويخضعُ

فأخذها صاحبها وذهب بها ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت الذي هو الجواب:

فكيف يداوي والهوى قاتلُ الفتى ... وفي كلِّ يومٍ غُصَّةً يتجرَّعُ

فكتب الشافعي رحمه الله:

فإن هو لم يصبرْ على ما أصابه ... فليس له شيءٌ سوى الموتِ أنفعُ

ويروى للشافعي رحمه الله(٢):

أأنثر درًّا بين سارحةِ البهمْ ... وأنظمُ منثوراً لراعيةِ الغنمْ

لعمرى لئن ضُيِّعْتُ في شرِّ بلدةٍ ... فلستُ مضيعاً فيهمُ غُرَرَ الكلمْ

لئن سهَّلَ الله العزيزُ بلطفه ... وصادفتُ أهلاً للعلوم وللحكمْ

بثثتُ مفيداً واستفدتُ ودادهم ... إلا فمكنونٌ لديَّ ومكتتمْ

---

(١) قارن بمناقب البيهقي ٢: ٩٩.

(٢) ديوانه (الزعبي): ٧٥ (يكن): ١٥٥ (باختلاف في الرواية): ١٩٢.

ومن منح الجهّال علماً أضاعه | ومن منع المستوجبين فقد ظلمْ

وله رضي الله عنه في تعزية[(١)]:

إنِي أعزّيك لا أني على طَمَعٍ | من الخلود ولكنْ سُنَّةُ الدينِ

فما المعزّي بباقٍ بعد صاحبه | ولا المعزى وإن عاشا إلى حينِ

وحدث بإسناد رفعه إلى ابن عمر الشافعي قال: كان لأبي عبد الله الشافعي امرأة يحبها فقال[(٢)]:

أليس شديداً إن تحـ | ـبَّ ولا يحبك من تحبُّهْ

ويصدّ عنك بوجهه | وتلجُّ أنت فلا تُغِبُّهْ

وحدث الآبري بإسناد إلى المزني عن الشافعي قال: كنا في سفر بأرض اليمن، فوضعنا سفرتنا لنتعشى وحضرت صلاة المغرب، فقلنا: نصلّي ثم نتعشى، فتركنا سفرتنا كما هي، وكان في السفرة دجاجتان، فجاء ثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين، فلما قضينا صلاتنا أسفنا عليها وقلنا، حرمنا طعامنا، فبينا نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فيه شيء كأنه الدجاجة فوضعه، فبادرنا إليه لنأخذه، ونحن نحسبه الدجاجة قد ردّها، فلما قمنا لخلاصها فإذا هو قد جاء إلى الأخرى فأخذها من السفرة، وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه ليفة قد هيأها مثل الدجاجة.

وحدث الحسن بن الزعفراني قال: سئل الشافعي عن مسألة فأجاب فيها ثم أنشأ يقول[(٣)]:

إذا المشكلات تصدَّينَ لي | كشفتُ حقائقها بالنظرْ

لسانٌ كشقشقةِ الأرحبيّ | أو كالحسامِ اليماني الذكرْ

ولستُ بإمَّعةٍ في الرجالِ | أسائلُ هذا وذا ما الخبرْ

ولكنني مِذْرَهُ الأصغريـ | ـن جلاَّب خيرٍ وفرَّاج شرْ

وحدث الربيع بين سليمان قال: لما دخل الشافعيّ مصر أولَ قدومه إليها جفاه النّاس فلم يجلس إليه أحد، قال فقال له بعض من قدم معه: لو قلت شيئاً يجتمع

---

(١) ديوانه (الزعبي): ٨٧ (يكن): ١٧٨.

(٢) ديوانه: ٢٤.

(٣) ديوانه: ٤٨/١٠١، ١٨٩.

إليك الناس، فقال فقال: إليك عني وأنشأ يقول:

أأنثر درًّا بين سارحة النعمْ   وأنظمُ منثوراً لراعية الغنمْ

الأبيات التي مرت آنفاً.

وجرى بين الشافعي وبين بعض من صحبه مَجَانةٌ فقال[١]:

وأنزلني طولُ النوى دارَ غربةٍ   إذا شئتُ لاقيتُ امرءاً لا أُشاكِلُهْ

أحامقه حتى يقالَ سجيةٌ   ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلهْ

وحدّث الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول[٢]:

يا راكباً قِفْ بالمحصّب من منًى   واهتف بقاعدِ خَيْفها والناهضِ

سَحَراً إذا فاض الحجيجُ إلى منًى   فيضاً كملتطمِ الفرات الفائضِ

إن كان رفضاً حبُّ آلِ محمدٍ   فليشهد الثقلان أني رافضي

ومن كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى الربيع بن سليمان قال: سمعتُ الشافعيَّ، وسأله رجل عن مسألة، فقال[٣] يروى عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا، فقال له السائل: يا أبا عبد الله أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفرَّ لونه وحال وتغير وقال: ويحك أي أرض تقلّني وأيّ سماء تظلني إذا رويتُ عن رسول الله ولم أقلْ به؟ نعم على الرأس والعينين.

قال[٤]: وسمعت الشافعي يقول: ما من أحد إلا وتذهب عنه سُنّة لرسول الله ﷺ وتعزُبُ عنه، فمهما قلتُ من قولٍ أو أصّلتُ من أصلٍ فيه عن رسول الله ﷺ خلافُ ما قلت فالقولُ ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولي، وجعل يردد هذا الكلام.

وبإسناده عن أحمد بن حنبل أنه قال لعبد الملك بن عبد الحميد الميموني[٥]: مالك لا تنظر في كتب الشافعي فما من أحد وضع الكتب حتى ظهرت أتبعَ للسنةِ من الشافعي رضي الله عنه.

وبإسناده إلى أبي عثمان المازني قال[٦]: سمعت الأصمعي يقول: قرأتُ شعرَ

---

(١) ديوانه: ٧٣ (وهذا مما تمثل به وليس من شعره، وقافيته مغيرة: أوافقه/أحامقه).
(٢) البيهقي ٢: ٧١.
(٣) البيهقي ١: ٤٧٥.
(٤) البيهقي ١: ٤٧٥.
(٥) البيهقي ١: ٢٦١.
(٦) البيهقي ٢: ٤٧.

الشنفرى على الشافعيّ بمكة، قال زكريا بن يحيى الساجي: فذكرتُ ذلك للرياشي فقال: ما أنكره، قرأتها على الأصمعي فقال: أنشدنيها رجلٌ من قريش بمكة.

وبإسناده إلى عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال[١]: قلت لعمي: يا عمّاه على من قرأت شعر هذيل؟ فقال على رجل من آل المطلب يقال له محمد بن إدريس.

وحدث الصولي عن المبرد إنه قال[٢]: كان الشافعي من أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالقراءات.

وبإسناده[٣] إلى عبد الملك بن هشام النحوي صاحب كتاب «المغازي» أنه قال: طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنةً قط ولا كلمةً غيرها أحسنَ منها.

وبإسناده إلى جبير بن مطعم قال[٤]: لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيتُ أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا يُنْكَرُ فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم، أرأيت إخوتنا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال: إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، ثم شبك رسول الله ﷺ إحداهما بالأخرى، أخرجه البخاري في الصحيح. وهذا لأن عبد مناف كان له أربعة أولاد: هاشم والمطلب وعبد شمس جدّ بني أمية ونوفل، وكان جبير بن مطعم من بني نوفل وعثمان من بني عبد شمس وهما أخو المطلب.

وبإسناده[٥] إلى الحارث بن سريج النقال قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: أنا أدعو الله للشافعي أخصه به.

وبإسناده[٦]: كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجةَ الاجماع وبيانَ الناسخ والمنسوخ من القرآن فوضع له كتاب الرسالة. قال عبد الرحمن: ما أصلي صلاةً إلا وأدعو للشافعي فيها.

وبإسناده: قال أحمد بن حنبل: كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي.

---

(١) البيهقي ٢: ٤٤.
(٢) البيهقي ٢: ٤٨.
(٣) البيهقي ٢: ٤٣.
(٤) البيهقي ١: ٤٠ وانظر صحيح البخاري (مناقب قريش ٦: ٣٨٩).
(٥) البيهقي ٢: ١٤٣.
(٦) البيهقي ٢: ٢٤٤.

وبإسناده: قال إبراهيم الحربي: سئل أحمد بن حنبل عن مالك بن أنس فقال: حديث صحيح ورأي صحيح وسئل عن آخر فقال: لا رأي ولا حديث.

وبإسناده[1] إلى محمد بن مسلم بن وارة قال: لما قدمت من مصر أتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلّم عليه، فقال لي: كتبت كتبَ الشافعي؟ فقلت: لا، فقال لي: فَرَّطْتَ، ما عرفنا العمومَ من الخصوص وناسخَ حديثِ رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي. قال ابن وارة: فحملني ذلك على أن رجعتُ إلى مصر فكتبتها.

وبإسناده قال الزعفراني[2]: كنت مع يحيى بن معين في جنازة فقلت له: يا أبا زكريا ما تقول في الشافعي؟ فقال دعنا لو كان الكذب له مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب.

وبإسناده[3] إلى عبد الملك الميموني قال: كنت عند أحمد بن حنبل وجرى ذكر الشافعي، فرأيت أحمد يرفعه وقال: يروى عن النبي ﷺ أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها، فكان عمر بن عبد العزيز في رأس المائة الأولى، وأرجو أن يكونَ الشافعي على رأس المائة الأخرى.

وبإسناده: قال الشيخ أبو الوليد حسّان بن محمد الفقيه يقول: كنا في مجلس القاضي أبي العباس ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال له: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها أمر دينها، وأنه تعالى بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ثلاث ومائة، وبعث على رأس المائتين أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي وتوفي سنة أربع ومائتين، وبعثك على رأس الثلاثمائة، ثم أنشأ يقول:

اثنان قد مضيا فبورك فيهما ... عُمَرُ الخليفةُ ثم حِلْفُ السؤددِ
الشافعيُّ الألمعيُّ محمدٌ ... إرثُ النبوة وابنُ عمِّ محمدِ
أبشِرْ أبا العباس إنك ثالث ... من بعدهم سقياً لنوبةِ أحمدِ

قال: فصاح القاضي وبكى وقال: إن هذا الرجل قد نعى إليَّ نفسي. قال فمات القاضي أبو العباس في تلك السنة.

---

(١) البيهقي ١: ٢٦٢.
(٢) البيهقي ٢: ٢٥٠.
(٣) البيهقي ١: ٥٥.
(٤) البيهقي ٢: ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

وذكر الخطيب في «تاريخه» أن ابن سريج مات سنة ست وثلاثمائة.

وبإسناد البيهقي إلى داود بن على الأصبهاني أنه قال[1]: اجتمع للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره، فأوّلُ ذلك شرف نفسه ومنصبه وأنه من رهط النبي ﷺ، ومنها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع، ومنها سخاوة النفس، ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمه، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه، ومنها حفظه لكتاب الله وحفظه لأخبار رسول الله ﷺ ومعرفته بسير النبي ﷺ وبسير خلفائه ومنها كشفه لتمويه مخالفيه، ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة، ومنها ما اتفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد الله أحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة، ومثل سليمان بن داود الهاشمي وعبد الله بن الزبير الحميدي والحسين الفلاّس[2] وأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي وحرملة بن يحيى التجيبي والربيع بن سليمان المرادي وأبي الوليد موسى بن أبي الجارود والحارث بن سريح النقال وأحمد بن خالد الخلال وأبي عبيد القاسم بن سلام والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني.

قال الشيخ أحمد البيهقي، إنما عدّدَ داودُ بن عليّ من أصحاب الشافعي جماعةً يسيرة، وقد عدَّ أبو الحسن الدارقطني من روى عنه أحاديثه وأخباره أو كلامه زيادةً على مائة، هذا مع قصور سنه عن سن أمثاله من الأئمة، وإنما تكثر الرواة عن العالم إذا جاوز سنه الستين أو السبعين، والشافعي لم يبلغ في السنّ أكثر من أربع وخمسين.

ومن «كتاب مرو» مسنداً إلى عبد الله بن محمد بن هارون الفريابي قال[3]: وقفت بمكة على حلقةٍ عظيمة وفيها رجل، فسألت عنه فقيل هذا محمد بن إدريس الشافعي، فسمعته يقول: سلوني عما شئتم أخبركم بآية من كتاب الله وسنة عن رسول الله ﷺ وقول صحابي. فقلت في نفسي: إنّ هذا الرجل جريء، ثم قلت له: ما تقول في المحرم يقتل الزنبور. فقال قال الله تعالى ﴿**ما آتاكمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧] وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر رضي الله عنه أمر المحرم بقتل الزنبور.

---

(١) م: القلانسي.

(٢) انظر مناقب البيهقي ١ : ٣٦٢.

وعن المزني سمعت الشافعي يقول: رأيتُ بالمدينة أربعَ عجائب، رأيت جدةً لها إحدى وعشرون سنة، ورأيت رجلاً فلَّسه القاضي في مُدَّي نوىً، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلّمهن الغناء فإذا جاءت الصلاة صلَّى قاعداً، وكان بالمدينةِ والٍ وكان رجلاً صالحاً فقال: مالي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاة؟ فقالوا: إنك لا تضرب أحداً ولا تؤذي الناس، فقال: أهكذا؟ عليَّ بالإمام، فنصب بين العقابين وجعل يضربُ والإمام يقول: أعز الله الأمير أيش جرمي؟ وهو يقول: جَمِّلْنَا بنفسك، حتى اجتمع الناس على بابه.

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال[1]: جاء رجل إلى الشافعي فقال له: أصلحك الله، صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنتَ إليَّ وأيقظتني لمكرمة ودفعت عنّي اعتذاراً يشوبه الكذب، ثم قال: يا غلام هات السبتية، ثم قال: للمشيُ على الحفاءِ على علةِ الوجاء في حرِّ الرمضاء من ذي طول أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب، ثم أنشأ يقول:

أرى راحةً للحقِّ عند قضائِهِ ... ويثقلُ يوماً إن تركت على عَمْدِ
وحسبك حظّاً أن ترى عُذْر كاذب ... وقولك لم أعلمْ وذاك من الجهدِ
ومن يقضِ حقَّ الجار بعد ابنِ عمه ... وصاحبه الأدنى على القرب والبعدِ
يعشْ سيداً يستعذب[2] الناسُ ذكرَهُ ... وإن نابه حقٌ أَتَوْهُ على قصدِ

ومما يروى للشافعي رضي الله عنه[3]:

أصبحتُ مطَّرحاً في معشرٍ جهلوا ... حقَّ الأديب فباعوا الرأس بالذنبِ
والناسُ يجمعهم سملٌ وبينهمُ ... في العقل فَرْقٌ وفي الآدابِ والحسبِ
كمثلما الذهبُ إلا بريزُ يَشْرَكُهُ ... في لونه الصُّفْرُ والتفضيلُ للذهبِ
والعودُ لو لم تطبْ منه روائحه ... لم يفرقِ الناسُ بين العودِ والحطبِ

وعن أبي بكر ابن بنت الشافعي قال، قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج إلى مصر[4]:

---

(١) البيهقي ٢: ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٢) م: يستغرب.
(٣) البيهقي ٢: ٦٤.
(٤) البيهقي ٢: ١٠٨.

لقد أصبحت نفسي تتوقُ إلى مصرِ ومن دونها قَطْعُ المهامهِ والقفرِ
فوالله ما أدري ألَلْفوزِ والغنى أُساقُ إليها أم أُساقُ إلى القبرِ

قال: فخرج فقطع عليه الطريق، فدخل بعضَ المساجد وليس عليه إلا خرقة، فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد، فقال[1]:

عليَّ ثيابٌ لو يباعُ جميعها بفلسٍ لكان الفلسُ منهنَّ أكثرا
وفيهن نفسٌ لو يقاس ببعضها نفوسُ الورى كانتْ أجلَّ وأكبرا
وما ضرَّ نصلَ السيف إخلاقُ غمده إذا كان عضباً أين وجَّهته برى

قرأت في كتاب «خطط مصر» لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن جعفر بن علي القضاعي المصري صاحب «كتاب الشهاب» قال: محمد بن إدريس الشافعي المطلبي الفقيه يكنى أبا عبد الله، توفي في سلخ رجب سنة أربع ومائتين بمصر، ودفن غربي الخندق في مقابر قريش، وحوله جماعة من بني زهرة من ولد عبد الرحمن بن عوف الزهري وغيرهم، وقبره مشهورٌ هناك مجمع على صحته ينقل الخلف عن السلف في كل عصر إلى وقتنا هذا، وهو البحري من القبور الثلاثة التي تجمعها مصطبة واحدة غربيَّ الخندق، بينه وبين المشهد، والقبران الآخران اللذان إلى جنب قبر الشافعي أحدهما قبر عبد الله بن الحكم بن أعين بن ليث بن رافع مولى قريش مات سنة أربع عشرة ومائتين، ودفن إلى جنب من الشافعي، وهو مما يلي القبلة، وهو القبر الأوسط من القبور الثلاثة، وكان من ذوي الجاه والمال والذبائح، وكان يزكي الشهود، ولم يشهدْ قطّ لدعوةٍ سَبَقَتْ فيهم، والقبر الثالث قبر ولده عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم مات في سنة سبع وخمسين ومائتين، وقبره مما يلي القبلة، وعبد الرحمن هذا هو صاحب كتاب «فتوح مصر» وكان عالماً بالتواريخ.

يقال إن الشافعي رضي الله عنه قدم إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة في أول خلافة المأمون، وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله بن العباس استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفةً لأبيه عبد الله على مصر، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولي السري بن الحكم البلخي، من قوم يقال لهم الزطّ، مصر واستقامت له، وكان يكرم الشافعي ويقدّمه ولا يؤثر أحداً عليه، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه

(١) البيهقي ١: ١٢٩ ـ ١٣٠.

وحلمه، وكان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس يقال له فتيان فيه حدة وطيش، وكان يناظر الشافعي كثيراً ويجتمع الناسُ عليهما، فتناظرا يوماً في مسألة بيع الحر، وهو العبد المرهون إذا أعتقه الراهن ولا مال له غيره، فأجاب الشافعي بجواز بيعه على أحد أقواله، ومنع فتيان منه لأن يمضي عتقه بكل وجه، وهو أحد أقوال الشافعي، فظهر عليه الشافعي في الحجاج، فضاق فتيان بذلك ذرعاً فشتم الشافعيَّ شتماً قبيحاً، فلم يردَّ عليه الشافعي حرفاً، ومضى في كلامه في المسألة، فَرَفَعَ ذلك رافعٌ إلى السري، فدعا الشافعي وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى، وشهد الشهود على فتيان فَضُرِبَ بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه منادٍ ينادي هذا جزاء من سبَّ آلَ رسول الله ﷺ. ثم إن قوماً تعصبوا لفتيان من سفهاء الناس وقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من أصحابه وبقي وحده، فهجموا عليه وضربوه، فحمل إلى منزله فلم يزل فيه عليلاً حتى مات في الوقت المقدّم ذكره.

قال ابن يونس: كان للشافعي ابن اسمه محمد قدم مع أبيه مصر، توفي بها في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وقيل كان له ولد آخر اسمه محمد أيضاً يروي عن سفيان بن عيينة ولي قضاء الجزيرة وتوفي بها بعد أربعين ومائتين.

ومن مشهور أصحاب الشافعي: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني[١]، مات في سنة أربع وستين ومائتين.

والربيع بن سليمان وكان من أجلِّ أصحاب الشافعي وأورعهم وأكثرهم تصنيفاً. ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم[٢] يكنى أبا عبد الله، صحب الشافعي وقرأ عليه ومات سنة ثمان وستين ومائتين، ودفن إلى جنب الشافعي مع قبر أخيه وأبيه المذكورين، وكان من أهل الدين والورع.

والربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي[٣] مولى لهم المؤذن الفقيه، يكنى أبا محمد، وهو صاحب الشافعي المشهور بصحبته ومات سنة سبعين ومائتين، وقبره غربي الخندق مما يلي الفقاعي، وهو آخر من روى بمصر عن الشافعي، وكان جليلاً مصنّفاً حدث بكتب الشافعي كلها ونقلها الناس عنه ويقال إنه أعان المزني على غسل الشافعي.

(١) ترجمة اسماعيل المزني في سير الذهبي ١٢: ٤٩٢ (وإنما اخترت السير لأنه يدل على غيره لكثرة المصادر المذكورة في الحواشي).

(٢) ترجمة ابن عبد الحكم في سير الذهبي ١٢: ٤٩٧.

(٣) ترجمة الربيع المرادي في سير الذهبي ١٢: ٥٨٧.

والربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الجيزي[1] مولى الأزد، وأظنه صحب الشافعي ومات في سنة ست وخمسين ومائتين وقبره بالجيزة.

وهذا فهرست كتب الشافعيّ رضي الله عنه: كتاب الطهارة. كتاب مسألة المني. كتاب استقبال القبلة. كتاب الإمامة. كتاب إيجاب الجمعة. كتاب صلاة العيدين. كتاب صلاة الكسوف. كتاب صلاة الاستسقاء. كتاب صلاة الجنائز. كتاب الحكم في تارك الصلاة. كتاب الصلاة الواجبة والتطوع والصّيام. كتاب الزكاة الكبير. كتاب زكاة الفطر. كتاب زكاة مال اليتيم. كتال الصيام الكبير. كتاب المناسك الكبير. كتاب المناسك الأوسط. كتاب مختصر المناسك. كتاب الصيد والذبائح. كتاب البيوع الكبير. كتاب الصرف والتجارة. كتاب الرهن الكبير. كتاب الرهن الصغير. كتاب الرسالة. كتاب أحكام القرآن. كتاب اختلاف الحديث. كتاب جماع العلم. كتاب اليمين مع الشاهد. كتاب الشهادات. كتاب الإجارات الكبير. كتاب كري الإبل والرواحل. كتاب الإجارات إملاء. كتاب اختلاف الأجير والمستأجر. كتاب الدعوى والبينات. كتاب الاقرار والمواهب. كتاب ردّ المواريث. كتاب بيان فرض الله عز وجل. كتاب صفة نهي النبي عليه السلام. كتاب النفقة على الأقارب. كتاب المزارعة. كتاب المساقاة. كتاب الوصايا الكبير. كتاب الوصايا بالعتق. كتاب الوصية للوارث. كتاب وصية الحامل. كتاب صدقة الحي عن الميت. كتاب المكاتب. كتاب المدبَّر. كتاب عتق أمهات الأولاد. كتاب الجناية على أم الولد. كتاب الولاء والحلف. كتاب التعريض بالخطبة. كتاب الصداق. كتاب عشرة الصداقة. كتاب تحريم ما يجمع من النساء. كتاب الشغار. كتاب إباحة الطلاق. كتاب العدة. كتاب الإيلاء. كتاب الخلع والنشوز. كتاب الرضاع. كتاب الظهار. كتاب اللعان. كتاب أدب القاضي. كتاب الشروط. كتاب اختلاف العراقيين. كتاب اختلاف علي وعبد الله. كتاب سير الأوزاعي. كتاب الغصب. كتاب الاستحقاق. كتاب الأقضية. كتاب إقرار أحد الابنين بأخ. كتاب الصلح. كتاب قتال أهل البغي. كتاب الأسارى والغلول. كتاب القسامة. كتاب الجزية. كتاب القطع في السرقة. كتاب الحدود. كتاب المرتدّ الكبير. كتاب المرتدّ الصغير. كتاب الساحر والساحرة. كتاب القراض. كتاب الأيمان والنذور. كتاب الأشربة. كتاب الوديعة. كتاب العمري. كتاب بيع المصاحف. كتاب خطأ الطبيب. كتاب جناية معلم الكتّاب. كتاب جناية البيطار والحجام. كتاب اصطدام الفرسين والنفسين. كتاب بلوغ الرشد.

---

(١) ترجمة الربيع المرادي في سير الذهبي ١٢: ٥٩١.

كتاب اختلاف الزوجين في متاع البيت. كتاب صفة النفي. كتاب فضائل قريش والأنصار. كتاب الوليمة. كتاب صول الفحل. كتاب الضحايا. كتاب البَحيرة والسائبة. كتاب قسم الصدقات. كتاب الاعتكاف. كتاب الشفعة. كتاب السبق والرمي. كتاب الرجعة. كتاب اللقيط والمنبوذ. كتاب الحوالة والكفالة. كتاب كري الأرض. كتاب التفليس. كتاب اللقطة. كتاب فرض الصدقة. كتاب قسم الفيء. كتاب القرعة. كتاب صلاة الخوف. كتاب الديات. كتاب الجهاد. كتاب جراح العمد. كتاب الخرص. كتاب العتق. كتاب عمارة الأرضين. كتاب إبطال الاستحسان. كتاب العقول. كتاب الأولياء. كتاب الردّ على محمد بن الحسن. كتاب خلاف مالك والشافعي. كتاب قطاع الطريق.

قال: والذي لم يسمعه الربيع من الشافعي رضي الله عنه وأرضاه: كتاب الوصايا الكبير. كتاب اختلاف أهل العراق على علي وعبد الله. كتاب ديات الخطأ. كتاب قتال المشركين. كتاب الاقرار بالحكم الظاهر. كتاب الأجناس. كتاب اتباع أمر رسول الله ﷺ. كتاب مسألة الجنين. كتاب وصية الشافعي. كتاب ذبائح بني إسرائيل. كتاب غسل الميت. كتاب ما ينجس الماء مما يخالطه. كتاب الأمالي في الطلاق. كتاب مختصر البويطي، رواه الربيع عن الشافعي رضي الله عنه.

قافية الهمزة

(١)

دَعِ الأيّامَ..

قال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه داعياً إلى تقبل أحكام القضاء وعدم الجزع من حوادِث الزمان ومواجهة الصروف بجلادة الرجل السمح مؤكداً أن الشدائد حال تزول، ما دام كل شيء يحور ولا يدوم:

دَعِ الأَيّامَ تَفعَلُ ما تَشاءُ ... وَطِبْ نَفساً إذا حَكَمَ القَضاءُ[1]

ولا تَجزَعْ لَحادِثَةِ اللّيالي ... فَما لِحَوادِثِ الدُّنيا بَقاءُ[2]

وَكُنْ رَجُلاً عَلى الأَهوالِ جَلْداً ... وَشِيمَتُكَ السَّماحَةُ والوفاءُ[3]

وإن كَثُرَتْ عُيُوبُكَ في البَرَايا ... وسَرّكَ أنْ يَكُونَ لَها غِطاءُ[4]

تَسَتَّرْ بالسَّخاءِ فكُلُّ عَيْبٍ ... يُغطِّيه - كَمَا قِيلَ - السَّخاءُ[5]

ولا تُرِ لِلأَعادي قَطُّ ذُلاً ... فإنَّ شَماتَةَ الأعْدَا بَلاءُ

---

(١) **دعْ**: الأمر من ودع (الشيء): تركه - **طِبْ**: الأمر من **طاب يطيبُ طيبة وطيباً وتطيابا**: لذّ وحلا، **وطابتِ النفس**: انشرحت - **القضاء**: الحُكمْ، جمع أقضية، والمراد هنا قضاء الله أي حكم أقداره.

(٢) **لا تجزع**: أي أصبر، **يقال**: جزع منه لم يصبر عليه فأظهر الحزن أو الكدر.

حادثة الليالي: ما تحمله الأيام من الأمور الجديدة ويراد بها غالبا الأمور المنكرة غير المعتادة أو المألوفة - يدعو الإمام الشافعي إلى تحمل مكاره الحياة والصبر عليها لأن لا شيء يبقى على حاله كأنه يستوحي الآية الكريمة: ﴿**فإنّ مع العسر يسراً**﴾ [سورة الانشراح: ٥ و ٦]

(٣) **الأهوال**: جمع هول وهو المخافة من الأمر - **الجلد**: الشديد القوي - **الشيمة**: الخلق والطبيعة.

(٤) **البرايا**: جمع بريّة، الخلق.

(٥) **السّخاء**: الكرم والجود - **يغطّيه**: يستره.

ولا تَـرْجُ الـسَّـمـاحَـةَ مـنْ بَـخَـيـلٍ ... فَـمـا فِـي الـنَّـارِ لـلـظـمْـآنِ مَـاءُ[1]
ورزْقُـكَ لَـيْـسَ يُـنْـقِـصُـهُ الـتَّـأنِّـي ... ولـيْـسَ يَـزيـدُ فـي الـرزْقِ الـعَـنَـاءُ[2]
ولا حُـــزْنٌ يَـــدُومُ ولا سُـــرورٌ ... ولا بُــؤْسٌ عَــلَــيْــكَ ولا رَخَــاءُ
إذا مــا كــنْــتَ ذَا قَــلْــبٍ قَــنُــوعٍ ... فــأنْــتَ ومَــالِــكُ الــدّنــيـا سَــواءُ
ومــنْ نَــزَلَــتْ بِـسَـاحَـتِـهِ الـمَـنـايـا ... فــلا أرْضٌ تَــقِــيــه ولا سَــمــاءُ[3]
وأرضُ الله وَاسَــعَـــةٌ ولَــكِــنْ ... إذا نَــزَلَ الــقَــضَـا ضَـاقَ الـفَـضَـاءُ[4]
دَعِ الأيَّــامَ تــغْــدِرُ كُــلَّ حــيــنٍ ... فــمــا يُــغْــنـي عــنِ الـمَـوْتِ الـدَّواءُ

(٢)

لا تُخْطي

وقال رضي الله عنه ينهى عن إزدراء الدّعاء:

أتَــهْــزَأُ بــالــدُّعــاءِ وتَــزْدَريــه ... ومـا تَـدْري بِـمـا صَـنَـعَ الـدُّعـاءُ[5]
سِـهَـامُ الـلَّـيـلِ لا تُـخْـطـي ولـكِـنْ ... لَــهـا أَمَــدٌ وَلِـلأمَـدِ انْـقِـضَـاءُ[6]

(٣)

جَهْدُ البَلاءِ

وقال رضي الله عنه محدّداً مصدر البلاء في حبّ النساء:

أكْـثـرَ الـنَّـاسُ فـي الـنِّـسـاءِ وقـالُـوا ... إنَّ حُـبَّ الـنِّـسَـاء جَـهْـدُ الـبَـلاءِ[7]

---

(١) **الظمآن**: العطشان ـ شبّه الشافعي السماحة بالماء وقال ما دامت النّار لا تعطي الظمآن ماء كذلك البخيل لا يجود بالسماحة.
(٢) **التّأني**: الأناة والتمهّل ـ **العناء**: التّعب الشديد.
(٣) **يقول** إذا أزفت المنية فلا يقيك منها أرض ولا سماء وهو مضمون الآية الكريمة: **﴿يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة﴾** [سورة النساء: الآية ٧٧].
(٤) **القضا**: مخّفف القضاء.
(٥) **تزدريه**: تمتهنه، تحتقره، من ازدرى وزرى زراية فهو زار أو مزدرٍ.
(٦) **الأمد**: الغاية ومنتهى الشيء وجمع الأمد الآماد ـ **الانقضاء**: الانتهاء أو النهاية.
(٧) **البلاء**: الاختبار يكون بالخير أو الشرّ، والبلاء الغمّ الذي يبدو كأنه يبلي الجسم وهو المقصود هنا.

لـيْـسَ حُـبُّ الـنِّـسـاءِ جَـهْـداً ولـكِـنْ   قُـربُ مـنْ لا تُـحِـبُّ جُـهـدُ الـبَـلاءِ[1]

(٤)

واحَسْرَةً لِلْفتى

قال الإمام الشافعيّ لا سرورَ يعدلُ صحبة الإخوان، ولا غمّ يَعْدِلُ فراقَهم والغريبُ من فَقَد إلفَه، لا من فقد منزلَه، وفي هذا المعنى يقول:

وَاحَـسْـرَةً لِـلْـفَـتَـى سَـاعَـةً   يَـعِـيـشُـهَـا بَـعْـدَ أوِدَّائِـه[2]
عُـمْـرُ الـفـتـى لـو كـان فـي كـفِّـهِ   رَمَـى بِـهِ بَـعْـدَ أحِـبَّـائِـه

---

(١) **يقول** ليس الحبّ مصدر الجهد أي المشقّة بل بعد المحبوب أو قرب من لا نحب هو البلاء والجهد أي الغمّ والعناء.

(٢) **الأَوِدّاء**: الأحباء والأصحاب جمع وديد، والوديد الحبيب **يقول**: لو كان المرء يملك عمره ويقدر على امتلاكه والتصرّف به لكان حريّاً أن يطرحه أو يرميه إذا افتقد أحباءه.

قافية الباء

(٥)

وُقوفُ الْماءِ يُفْسِدُهُ

ومما قاله في الحث على السّفر والاغتراب سعياً وراء شريف المطلب واكتساباً لتجربة الأيام رابطاً ذلك بظاهرة التحوّل وهي سنة الكون والوجود:

ما في الـمُقامِ لِذي عَقْلٍ وذِي أَدَبِ ... مِنْ راحَةٍ فَدَعِ الأَوْطانَ واغْتَرِبِ[١]
سَافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عمَّنْ تُفارِقُهُ ... وانْصَبْ فإنَّ لذيذَ العَيْشِ في النَّصَبِ
إنِّي رأَيْتُ وُقوفَ المَاءِ يُفْسِدُهُ ... إنْ ساحَ طابَ وإنْ لَمْ يَجْرِ لم يَطِبِ[٢]
والأُسْدُ لولا فِراقُ الأرْضِ ما افترَسَتْ ... والسَّهمُ لولا فِراقُ القَوْسِ لَمْ يُصِبِ
والشَّمْسُ لو وَقَفَتْ في الفُلْكِ دائِمَةً ... لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ ومِنْ عربِ
والتِّبْرُ كالتُرْبِ مُلقًى في أَمَاكِنِه ... والعُودُ في أرْضِهِ نَوْعٌ منَ الحَطَبِ[٣]
فإنْ تغَرَّبَ هَذا عَزَّ مَطْلَبُهُ ... وإنْ تغَرَّبَ ذاكَ عَزَّ كالذَّهَبِ

---

(١) **المُقام**: (بضم الميم): الإقامة مكاناً وزماناً والمَقام (بفتح الميم): المنزلة ـ **يقول**: لا راحة للمقيم في المكان لا يبرحه فعلى العاقل ما دامت الراحة غير موفورة بالبقاء في موطن ما ـ أن يتحمل أعباء السفر والاغتراب لأن لذة العيش في النّصب أي التّعب والعناء.

(٢) **وقوف الماء**: ركوده، عدم جريه ـ **ساح الماء**: سال وجرى ـ يشبه بقاء الإنسان في موطنه لا يبرحه بالماء الراكد الذي يفسده وقوفه، بينما يطيب ويعذب إذا هو جرى أو ساح.

(٣) **التّبر**: الذهب ـ **ملقى في أماكنه**: مطروح ـ **العود**: أي عود البخور ـ يقول إن الذّهب إذا بقي في مكانه ظلّ عديم النفع كالتراب مثل عود البخور ليس أكثر قيمة من الحطب في أرضه فإذا تغرّب هذا أو ذاك صار عزيز القيمة والمطلب.

(٦)

باعُوا الرّأْسَ بالذّنَبِ

جاء في معجم الأدباء قول الإمام الشافعيّ في الفروق بين النّاس في العقل والأدب والحسب

أَصْبَحْتُ مُطَّرَحاً في مَعْشَرٍ جَهِلُوا ... حقَّ الأَديب فبَاعُوا الرَّأسَ بِالذَّنبِ[١]
والنّاسُ يَجْمَعُهُمْ شَمْلٌ، وبينَهُم ... في العَقْلِ فَرْقٌ وفي الآداب والحَسَبِ[٢]
كمثْلِ ما الذَّهبِ الإبْريزِ يشْركُهُ ... في لَوْنِهِ الصُّفْرُ، والتفْضيلُ للذَّهَبِ[٣]
والعُودُ لوْ لَمْ تَطِبْ منْهُ رَوائِحُهُ ... لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بينَ العُودِ والحَطَبِ[٤]

(٧)

جَرَّدْتُ صَارِماً

ومن خواطر الإمام الشافعيّ في طبائع النّاس وتباينهم في الأخلاق والعادات وترفعه عن صحبة البخيل لائذاً بإيمانه وغِنى ذاته:

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنيا فَلمْ أرَ فيهمُ ... سِوى منْ غَدَا والبُخلُ ملءُ إهابِهِ[٥]
فجرَّدتُ من غِمْد القَناعَةِ صَارِمَاً ... قَطَعْتُ رَجَائِي منهُمُ بذُبَابِهِ[٦]
فَلاَ ذا يَرَانِي واقِفاً في طريقه ... ولاَ ذَا يَرَاني قاعِداً عِند بَابِهِ
غنيٌّ بِلا مالٍ عَنِ النَّاسِ كلِّهم ... وليسَ الغِنى إلا عَنِ الشّيءِ لا بِهِ

---

(١) **مطّرحاً**: مُلْقًى، مرمياً ـ معجم الأدباء لياقوت ١٧/ ٣١٩.

(٢) **الشّمْل**: مصدر شمل شملا وشَمَلا وشمولا الأمرُ القومَ: عمّهم ـ **الحسب**: جمع أحساب، شرف الأصل.

(٣) **الذّهب الإبريز**: الذهب الخالص ـ **يشركه**: يشاركه ـ **الصّفر**: النحاس.

(٤) **يقول**: شأن الفرق بين النّاس في الأدب والحسب كشأن عود البخور لولا طيب رائحته لما ميّز النّاس بينه وبين أعواد الحطب.

(٥) **بلوت بني الدّنيا**: اختبرتهم وجرّبتهم وبلوتهم أيضاً: امتحنتهم من بلا بلوا وبلاءً الرجل: اختبره ـ **الإهاب**: الجلد، أو ما لم يدبغ منه.

(٦) **جرّدت**: سللتُ ـ **الغمد**: جفن السيف، وقوله: غمد القناعة من باب المجاز والاستعارة ـ **الصارم**: السيف القاطع ـ **قطعت رجائي منهم**: يئست، والرجاء: ضد اليأس ـ **بذبابه**: أي بحدّه، أي بحدّ السيف أو طرفه.

إذا ما ظالِمُ استحْسنَ الظُّلمَ مذْهَباً وَلَجَّ عُتُوّاً في قَبيح اكتِسابِهِ(١)
فكِلْهُ إلى صَرْفِ الليالي فإنَّها سَتَدْعي لَهُ مَا لَمْ يكُنْ في حِسابِهِ(٢)
فَكَمْ قَدْ رأيْنا ظَالِماً مُتَمَرِّداً يَرَى النَّجم تِيهاً تَحْتَ ظِلِّ رِكابِهِ(٣)
فَعَمَّا قَليلٍ وَهْوَ في غفلاتِه أناخَتْ صُروفُ الحَادِثاتِ ببابِه(٤)
فأصْبَحَ لا مَالٌ ولاَ جَاهُ يُرْتَجى ولاَ حَسَناتٌ تَلْتَقي في كِتَابِهِ(٥)
وجُوزِيَ بالأَمْرِ الَّذي كَانَ فاعِلاً وصَبَّ عليْهُ اللّهُ سَوْطَ عَذابِهِ(٦)

(٨)

يُقاسُ بِطِفْلِ

وقال رضي الله عنه:

أَرَى الغِرَّ فِي الدُّنيا إذَا كَانَ فاضِلاً ترقَّى على رُوسِ الرِّجال ويَخْطُبُ(٧)
وإنْ كانَ مِثْلي لا فَضيلَةَ عِنْدهُ يُقاسُ بِطِفْلٍ في الشَّوارِعِ يلعبُ

(١) **استحسن الشيء**: وجده حسناً ـ **المذهب**: النهج والطريقة ـ **لجّ في الأمر**: لازمه وأبى أن ينصرف عنه **ولجّ به الهم**: ألحّ عليه **ولجّ لججا ولجاجاً ولجاجة** عَنَد في الخصومة أو تمادى في العناد. يقال لجّ على فلان في الطلب: ألحّ عليه ـ **العتوّ**: التمرّد، والتكبّر من عتا يعتو فهو عات أي متجبرّ، **والعاتي** الذي يبالغ في العصيان، جمع عُتاة وعُتيّ. يقال ليلة عاتية شديدة الظلمة وحاكم عاتٍ شديد القسوة لا يلين.

(٢) **كِلْه إلى**: كِلْ الأمر من وكل يَكِل وكْلا ووكلاً إليه الأمر: سلّمه وتركه وفوّضه إليه واكتفى به ـ **صرف الليالي أو صرف الدّهر وصروفه**: نوائبه وحدثانه ـ **ما لم يكن في حسابه أو حسبانه**: أي ما لم يكن في ظنّه.

(٣) **تيهاً**: زهواً وتكبراً من تاه يتيه تيهاً: تكبّر وتجبّر ـ **الرّكاب**: ما يعلّق في السرج فيجعل الرّاكب فيه رجله.

(٤) **الغفلات**: جمع غفلة مصدر غفل غفولاً عن الشيء: سها عنه وتركه والغفلة الإهمال.

(٥) **في كتابه**: أي في كتاب أعماله أي صحيفة أعماله وقدره.

(٦) **جوزي**: نال جزاءه، أي نتيجة عمله وفعله ـ **صبّ عليه سوط العذاب**: أي العذاب الشديد كما في قوله تعالى: **﴿فَصَبَّ عليهم ربُّهم سوطَ عذاب﴾** [سورة الفجر: الآية ١٣].

(٧) **الغِرّ (كما جاء في لسان العرب)**: الذي لا يفطن للشر ويغفل عنه لأنه غير مجرّب **والغِرّ والغرير**: الشاب الذي لا تجربة له **وفي الحديث**: المؤمن غِرّ كريم والكافر خَب، والخبّ ضد **الغِرّ** وعن **ابن الأعرابي**: أنت غِرّ والجارية غِرّ إذا تصابيا، **والغِرّة** الغفلة ـ **ترقّى على**: ارتقى، علا.

(٩)

أَنْتَ حَسْبي

ومما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أَنْتَ حَسْبي وَفيكَ للقَلْبِ حَسْبُ ... ولِحَسْبي إنْ صَحَّ لي فِيْكَ حَسْبُ[١]
لا أُبَالي مَتَى وِدَادُك لي صَحَّ ... مِنَ الدَّهْرِ ما تَعَرَّضَ خَطْبُ[٢]

(١٠)

خَبِّرا المُنَجِّمَ

وقال الشافعيّ مسفّهاً قول كلّ منجم مؤكداً كفره بالتنجيم وإيمانه بالقضاء الإلهي.

خَبِّرا عَنِّي المُنَجِّمَ أنّي ... كَافِرٌ بِالَّذي قَضَتْهُ الكَوَاكِبُ[٣]
عالِماً أنَّ ما يَكُونُ وما كَانَ ... قَضَاءٌ من المُهَيمِنِ وَاجِبُ[٤]

(١١)

خالِفْ هواك

وقال الشافعيّ يدعو إلى عدم ركوب مطية الأهواء لأنها الطريق إلى المغالط والعيوب:

إذا حَارَ أَمْرُكَ في مَعْنَيَيْنِ ... ولَمْ تَدرِ حَيْثُ الخَطَا والصَّوابُ

---

(١) **الحسب**: الكفاية. وفي البيت إيراد لعدد من الجناسات من اشتقاق حسب ومن معانيها العدّ والعلم والأجر والظنّ وسواها، وتفهم من سياق البيت.

(٢) **لا أبالي**: لا أكترث، لا أهتم ـ **الوداد**: مصدر ودّ وَدّاً ووُدّاً ووِداً. . (**فلاناً**): أحبّه يقال: **وددت**: لو فعلت ذلك: أي تمنّيت ـ **الخطب**: الشأن **والخطب**: الأمر عظم أو صغر، ويغلب استعماله للأمر العظيم المكروه، والجمع **خطوب**.

(٣) **كافر بالذي قضته الكواكب**: أي غير مؤمن بما يزعمه المنجّمون من معرفتهم بحظوظ الناس حسب نظرتهم إلى النجوم وأوضاعها.

(٤) **يقول**: أنّه عالم بأن ما كان في الماضي وما سيكون مستقبلاً إنما جميعه قضاء من الله، والقضاء الحكم ـ **المهيمن**: من أسماء الله الحسنى أي ذو السطوة والقدرة.

فخالِفْ هَوَاكَ فإنَّ الهَوى ... يقُودُ النُّفوسَ إلى ما يُعابُ[1]

(١٢)

تموتُ الأُسْدُ جوعاً

وقال الشافعيّ مؤكداً دور الحظّ في مفارقات الوجود:

تَمُوتُ الأُسدُ في الغاباتِ جُوعاً ... ولَحْمُ الضَّأنِ تَأكُلُهُ الكِلابُ[2]
وعَبْدٌ قَدْ يَنَامُ على حَريرٍ ... وذُو نَسَبٍ مَفارِشُهُ التُّرابُ[3]

(١٣)

تَزَايَدْتُ رِفْعَةً

وقال الإمام الشافعيّ ضارباً بنفسه المثل في الترفع عن الأنزال متشبثاً برفعته وإبائه:

إذا سَبَّني نَذْلٌ تَزَايَدْتُ رِفْعَةً ... وما العَيْبُ إلاَّ أنْ أكُونَ مُسابِبُهْ[4]
ولَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسي عَلَيَّ عَزِيزَةً ... لمكَّنتُها منْ كُلِّ نَذْلٍ تُحَارِبُهْ[5]
ولَوَ أنَّني أسْعَى لِنَفْعي وَجَدْتُني ... كَثيرَ التَّواني لِلَّذِي أَنَا طَالِبُهْ[6]

---

(١) **الهوى (هنا)**: ميل النفس إلى ما تستلذّ جمع الأهواء وغلبت اللفظة على ما ليس محموداً وأهل الأهواء أهل البدع ـ **يقول**: خالف هواك أي لا تتبع ما تمليه عليك ميول نفسك لأنها تقودك إلى ما يعاب أو يذم.

(٢) **الضأن**: اسم جنس لخلاف الماعز من الغنم، **والضأن من الغنم**: ذو الصوف ـ **يصوّر مفارقات الحياة** بأسلوب لا يخلو من الرمز فالأسود رمز للكرام من العلماء والأولياء والكلاب رمز لذوي اللؤم والخساسة فهو يعجب من التباين بين واقع الأخيار وواقع الأراذل وموت أولئك جوعاً بينما الكلاب تأكل لحوم الأغنام **وقوله هذا شبيه بقول ابن الرومي هاجياً**:

رأيتُ الدهرَ يرفعُ كلَّ وغدٍ ... ويخفض كل ذي زنة شريفة
كذاكَ البحرُ يرسُبُ فيه درٌّ ... ولا تنفكّ تطفو فيه جيفَه

(٣) **العبد**: أراد بالعبد الدنيء، الذي لا يمتلك الأصالة والحسب. وهو هنا نقيض ذي النّسب. وهذا البيت مماثل في معناه لسابقه والشافعي ينتقد من خلاله ظواهر الباطل والظلم في الواقع الإنساني.

(٤) **سبّني**: شتمني، من السبّ والسبّ لغة الشتم الوجيع ـ **النذل**: الخسيس، الحقير ـ **يقول**: كلّما شتمني ذو خسّة تطاولت رفعة لأنني أرى العيب في مشاتمته ومبادلته السباب.

(٥) **النفس العزيزة**: نقيض الذليلة أو الممتهنة ـ **مكّنه منه**: جعل له عليه سلطاناً وقدرة.

(٦) **التّواني**: الفتور والتقصير وعدم الاهتمام.

وَلـكِـنّـنـي أسْـعَـى لأنـفَـعَ صَـاحِـبي وعَارٌ عَلى الشّبعانِ إنْ جَاعَ صَاحِبُهْ(١)

(١٤)

مِنَ البَلّيةِ

وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي أنّ الإمام الشّافعي كان يمازح زوجة له مكيّة بقوله:

وَمِـــنَ الْـــبَـــلِـــيَّـــةِ أنْ تُـــحِـــ ـــبَّ ولا يُـحِـبُّـكَ مَـنْ تُـحِـبُّـهْ(٢)
ويَـــصُـــدُّ عَـــنْـــكَ بِـــوَجْـــهِـــهِ وتُـــلِـــحُّ أنْـــتَ فَـــلاَ تُـــغِـــبُّـــهْ(٣)

(١٥)

خَبَتْ نارُ نَفْسي

ومن خواطر الشافعيّ وقد رأى بياض الشيب في مفرق رأسه:

خَبَتْ نـارُ نَـفْسي باشْتِعـالِ مَـفَارِقي وأظـلَـمَ لَـيْـلـي إذْ أضَـاءَ شِـهَـابُـهَـا(٤)
أيَـا بُـومَـةً قـد عَـشَّـشَـتْ فَـوْقَ هـامَـتي عَلى الرَّغمِ منِّي حِينَ طَارِ غُرابُهَا(٥)
رأيـتِ خَـرابَ الـعُـمْـرِ مـنّـي فَـزُرْتِـنـي ومَـأواكِ مِـنْ كُـلِّ الـدِّيـارِ خَـرابُـهَـا
أأنْـعَـمُ عَـيْـشاً بـعـدَ مـا حَـلَّ عَـارِضـي طلائعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغني خِضابُهَا(٦)

---

(١) **يقول**: أنه حريص على أن يكون نافعاً لأصحابه ويرى العار في أن يشبع بينما صاحبه يعاني من السّغب والجوع.

(٢) **البليّة**: المصيبة ـ **يقول**: إنها لمصيبة شديدة الوطأة أن يكون الحبّ من طرف واحد، أي غير متبادل.

(٣) **صدّ يصدّ بوجهه عنه**: أعرض ومال ـ **تلحّ أنت**: تواظب ـ **تغبّه**: من غبّه أي زاره غبّاً: جاءه وتركه يوماً ـ يقارن بين المحبّ الصادق الودود وذي الصدود وكيف يزورّ أحدهما عن الآخر والآخر ملحاح لا يغبّ ولا يتباطأ.

(٤) **خبت النار**: خمدت وسكنت وطفئت ـ **يقول**: إن نار نفسه خمدت باشتعال نار الشيب في مفارقه، والمفارق جمع مفرق وهو وسط الرأس، والاشتعال، والإظلام وشهاب المفارق كلّها من باب المجاز والاستعارة **شبّه الشيب لبياضه بالشهب** واعتبر ظهوره سبباً في خمود نار النفس.

(٥) **البومة والبوم**: طائر يسكن الخراب وكلاهما للذكر والأنثى يضرب به المثل في الشؤم ـ **عشّشت**: **اتخذت عشّاً ـ الهامة**: الرأس ـ **الغراب**: طائر أسود اللون، شبّه به الشعر الأسود ـ **يقول**: إن ظهور الشيب في رأسي وزوال أسوداد شعري نذير شوّم وخيّل إليه أن بومة قد اتخذت لها عشّاً فوق هامته.

(٦) **العارض**: صفحة الخد أو جانبه وهما اثنان واحد في كل جهة والعارض أيضاً شعر صفحة الخد ـ **ليس**=

وعِـزَّةُ عُـمْـرِ الـمَـرْءِ قـبـلَ مَـشِـيـبـه / وقـد فَـنِـيَـتْ نـفـسٌ تَـوَلّـى شـبـابُـهَـا[1]
إذا اصْـفـرَّ لَـوْنُ الـمَـرْءِ وابْـيَـضَّ شَـعْـرُهُ / تـنـغَّـصَ مـنْ أَيّـامِـهِ مُـسْـتَـطـابُـهَـا[2]
فـدعْ عـنْـكَ سَـوءَاتِ الأمُـورِ فـإنَّـهـا / حَـرَامٌ عَـلَـى نَـفْـسِ الـتَّـقِـيِّ ارتِـكـابُـهَـا[3]
وأدِّ زكَـاةَ الـجَـاهِ واعْـلَـمْ بِـأنَّـهـا / كَـمِـثْـلِ زَكـاةِ الـمَـالِ تـمَّ نِـصَـابُـهَـا[4]
وأحْـسِـنْ إلـى الأَحْـرَارِ تَـمْـلِـكْ رِقـابَـهـم / فَـخَـيْـرُ تِـجـاراتِ الـكِـراءِ اكـتِـسَـابُـهَـا[5]
ولا تَـمْـشِـيَـنْ فـي مَـنْـكـبِ الأرْضِ فـاخِـراً / فـعـمَّـا قَـلـيـلٍ يـحـتَـويـكَ تُـرابُـهَـا
ومَـنْ يَـذُقِ الـدُّنـيـا فـإنّـي طَـعِـمْـتُـهـا / وَسِـيـقَ إلـيـنَـا عـذْبُـهَـا وعَـذَابُـهـا
فـلَـمْ أرَهـا إلا غُـروراً وبَـاطِـلاً / كـمـا لاحَ فـي ظَـهْـرِ الـفَـلاةِ سَـرابُـهـا[6]
ومـا هِـيَ إلاَّ جِـيـفَـةٌ مُـسْـتَـحِـيـلَـةٌ / عَـلَـيْـهـا كِـلابٌ هـمُّـهُـنَّ اجـتِـذَابُـهـا[7]
فـإنْ تـجْـتـنِـبـهـا كُـنـتَ سِـلـمـاً لأهـلِـهـا / وإن تَـجْـتَـذِبْـهـا نـازَعَـتْـكَ كِـلابُـهـا
فـطُـوبـى لِـنَـفْـسٍ أُولـعَـتْ قَـعْـرَ دارِهـا / مُـغـلَّـقـةَ الأبْـوابِ مُـرْخـىً حِـجَـابُـهـا

(١٦)

أَزيدُ حِلْماً

وقال الإمام الشافعيّ يصف كيف يقابل خطاب السّفيه إيّاه بالحِلم الجميل:

يُـخَـاطِـبـنـي الـسَّـفـيـهُ بِـكُـلِّ قُـبْـحٍ / فَـأَكْـرَهُ أنْ أكُـونَ لَـهُ مُـجِـيـبَـا

= يغني: لا يجدي ـ **الخضاب**: ما يصبغ به الشعر ـ **يقول**: كيف أنعم بالعيش وقد ظهرت طلائع الشيب في عارضيّ ولم يجدِ الخضاب نفعاً في ستره والاحتيال لاخفائه.

(١) **تولّى الشباب**: مضى وذهب إلى غير رجعة.

(٢) **تنغّصت الأيام**: تكدّرت وباتت سيئة ـ **المستطاب من الأيام**: ما كان طيباً منها أي هانئاً.

(٣) **دع عنك**: أترك ـ **سوءات الأمور**: جمع سوءة وهي الخلّة القبيحة، العورة، **ارتكاب السوء**.

(٤) **أدّ**: الأمر من أدّى يؤدّي (الزكاة): أعطى وقدّم ـ **النصاب**: الحصة أو المقدار الذي يوجب الزكاة.

(٥) **أحسن إلى الأحرار**: عاملهم بإحسان وهذا شبيه بقول الشاعر: أحسن إلى النّاس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ ـ **الكراء**: أجرة المستأجر.

(٦) **لاح**: بدا وظهر ـ **السّراب**: ما يشاهد نصفَ النّهار من اشتداد الحرّ كأنه ماء تنعكس فيه البيوت والأشجار وغيرها. ويضرب به المثل في الكذب والخداع فيقال فلان أخدع من السّراب ويقال للسّراب الآل، وقيل الآل يكون وقت الضحى، ولكن الأصمعي يعتبر الآل والسّراب واحد.

(٧) **الجيفة**: جثة الميت المنتنة ـ **يشبه الدنيا بالجيفة كما يشبّه المتعلّقين بها بالكلاب التي تنهش فيها، ثم**=

يَــزِيــدُ ســفَــاهَــةً فــأزِيــدُ حِــلْــمــاً   كــعُـــودٍ زادهُ الإِحْـــرَاقُ طِــيــبَــا

(١٧)

وإنْ سَلِمَتْ

وقال يصف علوّ همته وبعد طموحه وإزماعه تحمّل العناء لنيل أمانيه في الحياة:

سأضربُ في طُولِ البِلادِ وعرضِهَا   أنــالُ مُــرَادِي أوْ أمُــوتُ غَــرِيــبَــا[١]
فــإنْ تــلـفَـتْ نـفْـسي فَـلـلَّـهِ درُّهـا   وإنْ سـلِـمَـتْ كَـانَ الـرُجـوعُ قـرِيـبَـا[٢]

(١٨)

... تَهَيَّبُوهُ

جاء من أقواله في حلية الأولياء للأصفهاني[٣]:

ومَــنْ هَــابَ الــرِّجــالَ تَــهَــيَّــبُــوهُ   ومَـنْ حـقَّـرَ الـرِّجـالَ فـلَـنْ يُـهـابَـا[٤]
ومَــنْ قـضَـتِ الـرِّجـالُ لـهُ حُـقـوقـاً   ومـن يَـغْـصِ الـرِجـالَ فَـمَـا أَصَـابَـا

= يدعو في البيتين التاليين إلى اجتناب هذه الجيفة النّتنة أي الدنيا الفاسدة.

(١) **ضرب في البلاد، أو في طولها وعرضها**: خرج مسافراً أو تاجراً أو غازياً ـ **المراد**: المطلوب، المبتغى.

(٢) **تلفت**: هلكت ـ **لله درّها**: أي لله ما خرج منها من خير، والدرّ اللبن وكثرة اللبن ـ **يدعو إلى السعي والتنقل** في البلاد في سبيل الكسب أو اكتساب خبرات جديدة ويتقبّل المصير تلفت نفسه أو سلمت.

(٣) **راجع حلية الأولياء** للأصفهاني ص ٨٢ الجزء ٩.

(٤) **هاب الرجل تهيّبوه**: خافوه وعظّموه وحذروه ـ **حقرهم**: احتقرهم، ازدراهم.

قافية التاء

(١٩)

جَزَى اللّهُ عَنّا...

قال الربيع بن سليمان[١] سمعت الإمام أبا عبد الله الشافعي يقول:

جَزَى اللّهُ عنَّا جَعْفراً حِينَ أُزلفَتْ ... بِنا نَعْلُنا في الوَاطئِينَ فزلَّتِ[٢]
هُمُ خَلَطُونا بالنُّفوسِ وألجأُوا ... إلى حُجُراتٍ أدفأتْ وأظَلَّتِ[٣]
أبَوَا أن يَمَلُّونا ولَو أن أُمنا ... تُلاقي الذي يَلْقَوْنَ منّا لملّتِ[٤]
وقالوا هلمّوا الدّارَ حتّى تبيّنوا ... وتَنْجَلي الغَمَّاءُ عَمَّا تجلّتِ[٥]
ومن بَعْدِ ما كنّا لِسَلْمَى وأهْلِها ... عَبِيداً ومَلَّتْنَا البِلادُ ومَلَّتِ

---

(١) **نقلاً عن كتاب الرازي «آداب الشافعي ومناقبه» والربيع بن سليمان هو أبو محمد بن عبد الجبار المرادي وكان من أصحاب الشافعي روى عنه الكثير من أخباره وكتبه وكانت وفاته في مصر سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م).**

(٢) **أزلفت بنا نعلنا**: قُرِّبت وقدّمت، **من أزلفه**: قرّبه، والثلاثي المجرّد زلف **زلفاً وزليفا**: تقدّم وتقرّب وزلّف الشيء قدّمه، **وفي الكلام**: زاد ـ **الواطئين جمع واطىء**: اسم فاعل من وطىء أي داس ـ **زلّت النعل**: زلقت وسقطت.

(٣) **ألجأه (وهم ألجأوا)**: لجأ، عصم ـ **الحجرات**: جمع **الحجرة** وهي الغرفة، سميت **حجرة** لأنها **تحجر** الإنسان النائم أي تمنعه.

(٤) **تلاقي**: تجد.

(٥) **هلمّوا**: كلمة بمعنى الدعاء إلى شيء كتعالَ فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية كما الحال هنا ـ **تبيّنوا**: تتبينوا، من تبين الأمر تعرّفه وتأمّله ـ **تنجلي الغمّاء**: تنكشف ـ **الغمّاء**: الحزن والكرب ـ **وليلة غمّاء**: طامس هلالها. وقال الرازي في كتابه مناقب الشافعي: إن هذه المقطوعة من الشعر الذي كان الإمام الشافعي يردده باستمرار هي لطفيل الغنوي أحد شعراء الجاهلية.

(٢٠)

النّاسُ داءٌ

وقال الإمام الشافعي يصف سمو أخلاقه وهي عنوان الآداب الإسلامية والإنسانية المثلى:

لـمَّـا عَـفَـوْتُ ولَـمْ أحْـقِـدْ عـلـى أَحَـدِ   أَرَحْـتُ نَـفْـسِـي مِـنْ هَـمِّ الـعَـدَاواتِ[١]
إنِّـي أُحـيِّـي عَـدُوِّي عِـنْـد رُؤيَـتِـهِ   لإدفَـعَ الـشَّـرَّ عـنِّـي بـالـتَّـحِـيَّـاتِ
وأُظْـهِـرُ الـبِـشْـرَ لـلإنْـسـان أُبْـغِـضُـهُ   كَـمَـا إنْ قَـدْ حَـشَـا قـلْـبـي مَـحَـبَّـاتِ[٢]
الـنَّـاسُ داءٌ وداءُ الـنَّـاسِ قُـرْبُـهُـمُ   وفـي اعْـتِـزَالِـهِـمُ قَـطْـعُ الـمَـوَدَّاتِ[٣]

(٢١)

لَيْسَ عندي . . .

وقال الشافعي معبّراً عن ألمَه إذا عجز عن إسعاف ذوي الحاجة من أهل المروءات[٤]:

يـا لَـهْـفَ نَـفْـسـي عـلـى مَـالٍ أُفـرِّقُـهُ   عَلَى الـمُقِلِّين من أهْلِ الـمُرواءتِ[٥]
إنَّ اعْـتِـذاري إلـى مَـنْ جَـاءَ يـسـألُـنـي   ليْس عِنْدي لِمنْ إحْدَى الـمُصيباتِ[٦]

---

(١) **لم أحقد**: لم اضغن، أي لم أحمل الضغينة والعداوة الراسخة والثابتة في القلب ـ **أرحت نفسي**: جعلتها ترتاح.

(٢) **البشر**: بشاشة الوجه ـ **حشا قلبي**: ملأه.

(٣) **اعتزال النّاس**: البعد عنهم ـ **يقول**: إن معاشرة الناس وقربهم داء لا دواء له إلا اعتزالهم، علماً بأن الاعتزال يؤدي أيضاً إلى قطع روابط المودّة.

(٤) **انظر الشبلنجي**: نور الإبصار، أيضاً: **الرازي**: مناقب الشّافعي.

(٥) **اللهف**: الحزن والتحسّر من لهِف يلهَفُ لهَفاً على أي أصابته الحسرة على ما فات وانقضى، ويقال: **والهفتاه** كما يقال **وانفساه وأمّياه** من لهفَ نفسه أو أمّه. ومثل لهّف تلهّف، **تلهّف عليه**: تحسّر وتحرّق حزناً ـ على المقلّين: على المعوزين ذوي الحاجة والمسألة.

(٦) **يرى الشافعي**: أن الاعتذار للمحروم الذي يسأله العون، بعدم امتلاك المال أو الفقر مصيبة من المصائب ولهذا يندب حظّه لقلّة ذات يده ولذا قال: يا لهف نفسي. . .

(٢٢)

كَبِّرْ عَلَيْه

قال الإمام الشافعي يدعو إلى تحمّل صعاب التعلم دفعاً لذلّ الجهل ووطأته في الحياة:

إصبِرْ على مُرِّ الجفَا من مُعلِّم ... فَإنَّ رُسُوبَ العِلْمِ في نَفَراتِهِ[١]
وَمَن لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّم سَاعَةً ... تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ[٢]
ومن فاتَهُ التَّعليمُ وقتَ شبَابِهِ ... فكَبِّرْ عَلَيْهِ أربَعاً لِوَفاتِهِ[٣]
وذاتُ الفَتَى ـ واللهِ ـ بالعَلْمِ والتُّقى ... إذا لم يكُونَا لا اعْتبارَ لذَاتِهِ[٤]

(٢٣)

مَنْ لِي بِهَذا؟

وقال الإمام الشّافعي يصف شمائل الإخوان الصادقين والأصدقاء الأوفياء القمينين بالودّ والثقة:

أُحِبُّ مِنَ الإخْوانِ كُلَّ مُواتي ... وكُلَّ غَضِيض الطَّرْفِ عَنْ عَثَراتي[٥]
يُوافِقُني في كُلِّ أمْرٍ أُريدُهُ ... ويحفَظُني حَيّاً وبَعْدَ مَمَاتي[٦]

---

(١) **الجفا**: مخّفف الجفاء من **جفا يجفو جفوا وجفاء فلاناً**: أعرض عنه ـ **رسوب العلم**: ثباته في قرارة النفس والرسوب مصدر رسَب (بالفتح) ورُسب (بالضم) **رسُوباً ورسبا الشيء في الماء**: سقط إلى أسفله وأرسبَ الشيء حطّه إلى أسفل، فاستخدم الفعل مجازاً فقيل: رسَب في الامتحان أي سقط ولم ينجح ـ **النفرات**: جمع نفرة وهي **المرّة من نفر** يقال: نفر نفْراً من كذا: أنف منه وكرهه ونفره: جعله ينفر.

(٢) **يقول**: ما لم يذق المرء مرارة التعلّم فإنه يبقى طول حياته يتجرع الذلّ الناشىء عن الجهل.

(٣) **فاته التعليم وقت الشباب**: جاوزه وذهب عنه ـ **يؤكد الشافعي أن التعلّم أكثر رسوخاً في الصغر** زمن الفتوّة والشباب ومن هنا قيل «العلم في الصغر كالنقش في الحجر»، وهذا الرأي من المبادىء التي نادى بها المربّون قديماً وحديثاً وهو منوط بما في الحداثة من يقظه في الحسّ والملكات فإذا جاوز المرء هذه السن تلّبد الذهن واستعصت عملية التعلّم.

(٤) **يؤكد قيمة العلم والتّقى في** تكوين الذات الصالحة، فلا اعتبار لذات لم تفز بهما.

(٥) **المواتي**: الموافق **من آتى مؤاتاة (فلاناً) على الشيء**: وافقه عليه ـ **وآتاه**: جاراه ـ **غضيض (فعيل) الطّرف**: الذي يغضّ طرفه أي يخفضه ويكفّه ويكسره، **وغضّ الطرف**: منع بصره مما لا يحلّ له رؤيته ـ **العثرات**: الزلاّت والسقطات.

(٦) **يقول الشافعي**: إن أحبّ الإخوان إليه ليس الذي يجاريه ويغض طرفه عن عيوبه بل الذي يحفظه حيّاً=

فمنْ لي بهَذا؟ لَيتَ أنّي أَصَبْتُهُ لَقَاسَمْتُهُ مَالي مِنَ الحَسَنَاتِ[1]
تَصَفَّحْتُ إخْواني فَكَانَ أقلَّهُمْ عَلى كَثْرَةِ الإخْوانِ أهلُ ثِقَاتي[2]

(٢٤)

آلُ النّبيّ ذَريعتي

ورد في كتاب «نور الأبصار»[3] للشبلنجي قول الشافعي يذكر توسّله بآل بيت النبيّ ورجاءه المعقود عليهم:

آلُ النَّبِيِّ ذرِيعَتِي وهُمُو إلَيْه وَسِيلَتِي[4]
أرجُو بِهِم أُعْطى غَداً بيَدي اليَمِينِ صَحِيفَتِي[5]

(٢٥)

النَّاسُ بالنَّاسِ

ومن شعر الإمام الشافعي في الحضّ على المكارم ومحامد النفس قوله:

النّاسُ بالنّاسِ ما دَامَ الحياةُ بهِمْ والسَّعْدُ لا شَكَّ تاراتٌ وهبّاتُ[6]

= ومَيتاً أي لا يطعن به ولا يستغيبه ويصون سمعته حتى بعد مماته.

(١) **قوله**: من لي بهذا؟ تعبير عن ندورة وجود مثل هذا الأخ أو الصاحب. وهو يتمنى أي يصيب في دنياه مثل هؤلاء الإخوان أو واحداً على الأقل يقاسمه أي يشاركه ما يمتلك من الحسنات.

(٢) **تصفّح الإخوان**: تأمّلهم ونظر فيهم ملياً ليتعرّف أمورهم ـ **يقول**: إنه لم يجد بعد أن تعرف أمور إخوانه إلا القليل منهم الذي يستحق أن يمحضه الثقة.

(٣) **الشبلنجي** نور الإبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار.

(٤) **الذريعة**: جمع ذرائع، الوسيلة. يقال: هو ذريعتي إلى فلان: أي هو وسيلتي. يقال: تذرّع بذريعة: أي توسّل بوسيلة.

(٥) **الصحيفة**: **جمع صحائف وصحف**: القرطاس المكتوب ـ **يقول**: إن آل بيت النبي وسيلته وذريعته إلى حسن المآب والمصير وبحبّهم ورضاهم يرجو يوم الحساب أن يعطى صحيفته بيمينه فيكون من المرضيّ عنهم لا المغضوب عليهم. وقوله: بيمينه اقتباس من قوله تعالى: **﴿فمن أوتي كتابه بيمينه، فأولئك يقرأون كتابهم﴾** [الإسراء: ٧١]، **وقوله أيضاً**: **﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً﴾** [الانشقاق: ٧ ـ ١١].

(٦) **تارات أو تِيَر (بالياء) وتئر (بالهمز)**: جمع تارة. **يقال**: تارة بعد تارة أي حيناً بعد آخر أو مرّة بعد مرّة ـ **الهبّات**: جمع هبّة وهي المرّة من هبّ أي ثار وهاج، وهبّ من النوم انتبه واستيقظ.

وأفْضَلُ النّاسِ ما بَيْنَ الوَرَى رَجُلٌ ... تُقْضى على يَدِه للنّاسِ حَاجاتُ[1]
لا تَمْنَعَنَّ يَدَ المَعْروفِ عَنْ أَحَدٍ ... ما دُمْتَ مُقْتَدِراً فالسَّعْدُ تَاراتُ[2]
واشْكُرْ فَضائِلَ صُنْعِ اللهِ إذْ جَعَلَتْ ... إِلَيْكَ لا لَكَ عِنْدَ النّاسِ حَاجاتُ
قَدْ ماتَ قَوْمٌ وما ماتَتْ مكارِمُهُمْ ... وعاشَ قَوْمٌ وهُمْ في النَّاسِ أمْواتُ[3]

(٢٦)

لا تُجِبْهُ

وقال الإمام الشّافعي ناهياً عن مخاطبة السفيه ناصحاً بأن يكون سكوتك هو الجواب على نطقه:

إذا نَطَقَ السَّفِيهُ فلاَ تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إجَابَتِهِ السُّكُوتُ[4]
فإنْ كلّمْتَهُ فرَّجْتَ عَنْهُ ... وإن خَلَّيتَهُ كَمَداً يَمُوتُ[5]

(٢٧)

قَدْ ضَلُّوا

وجاء في خزينة الأسرار لمحمد النّازلي رأي الشافعي بالقضاة الذي باعوا الدّين بالدنيا[6]:

قُضَاةُ الدَّهْرِ قدْ ضَلُّوا ... فَقَد بانَتْ خَسَارَتُهُمْ
فَبَاعُوا الدِّينَ بالدُّنْيا ... فَمَا رِبِحَتْ تجارَتُهُمْ[7]

---

(١) **الورى**: النّاس ـ **تقضي الحاجات للناس**: أي تصنع من قضى حاجة فلان: أتمّها وفرغ منها.
(٢) **المعروف**: العرفان، أي الجود وكلّ ما تعطيه ـ **السّعد**: نقيض النحس.
(٣) **يقول**: كم أناس ماتوا وظلّت أمجادهم حيّة يذكرون بها بينما يعيش قوم وكأنّهم أموات في النّاس.
(٤) **السّفيه**: الجاهل، عديم الحلم، الرديء الخلق ـ **يدعو الشافعي إلى عدم الردّ على السفيه الجاهل** فالسكوت أنجع في التعامل معه من الإجابة والكلام.
(٥) **خلّيته**: تركته، أو لم تجبه ـ **الكمد**: الحزن الشديد والهم ـ **يقول**: إن الردّ على السفيه فرج له ولكن السكوت يميته كمداً.
(٦) **انظر محمد حقي النازلي**: **خزينة الأسرار** والخزينة المباركة **والمراد بقضاة الدّهر هنا** أولئك الذين لا غرض لهم من إصدار الأحكام إلا كسب الوجاهة في الدنيا.
(٧) قد ضمن الإمام الشافعي هذا البيت معنى قوله تعالى: **﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾** [البقرة: الآية ١٦].

(٢٨)

ما عَطَفُوا

حدّث عبد الله الأصبهاني في «حلية الأولياء» نقلاً عن أبي نصر أنه قال: سمعت أبا عبد الله ابن أخي وهب يقول:

وأنطَقَتِ الدَّراهِمُ بَعْدَ صَمْتٍ أُنَاساً بعدَما كانُوا سُكُوتَا[١]
فما عَطَفُوا على أحَدٍ بفَضْلٍ ولا عَرفُوا لِمَكْرُمَةٍ ثُبُوتَا[٢]

(٢٩)

يَحْمَي حِماهُ

قال الشافعي مشيداً ببناة بيوت الله ناصحاً بالتماس الخير عندهم دون سواهم:

إذا رُمتَ المَكَارمَ مِنْ كَريم فَيَمِّمْ من بَنى لِلّهِ بَيْتَا[٣]
فَذَاكَ الليْثُ من يَحْمِي حِمَاهُ ويُكْرِمُ ضَيْفَهُ حَيّاً ومَيْتَا[٤]

---

(١) **انظر حلية الأولياء للحافظ الأصبهاني** (٩/ ١٤٠) ـ **يقول**: إن الدراهم أنطقت قوماً بعد أن كانوا ساكتين، ولولا المال لظلّوا سادرين في صمتهم أي لما كان لهم وجود يذكر.

(٢) **يقول**: إنّهم لم يقدروا ما أنعم الله به عليهم فما أولوا أحداً العطف أو الفضل.

(٣) **يمّم**: الأمر من **أمّ (المكان أو فلاناً)**: قصده ـ **بنى لله بيتاً**: أي بنى مسجداً والمساجد هي بيوت الله.

(٤) **يقول**: إن باني بيوت الله أشبه بالليث الذي يحمي عرينه وهو خليق بإكرام الضيف حيّاً وميتاً.

قافية الجيم

(٣٠)

لَرُبَّ نازِلَةٍ

قال الشافعي رضي الله عنه داعياً إلى عدم القنوط من رحمة الله فهي الفرج من الضيق إذا استحكمت حلقاته:

ولَـرُبَّ نـازلـةٍ يَـضـيـقُ لَـهَـا الـفَـتَـى ذَرْعـاً وعِـنْـدَ اللهِ مـنـهـا الـمَـخْـرَجُ[١]
ضَاقَتْ فلمَّا استحْكَمَتْ حَلَقَاتُها فُـرِجَـتْ، وكُـنْـتُ أظُـنُّـهـا لا تُـفْـرَجُ

(٣١)

عَدَاوَةُ الشّعَراء دَاءٌ

جاء في «وفيات الأعيان» لابن خلكان قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

مَـاذا يُـخَـبِّـرُ ضَـيْـفُ بَـيْـتِـكَ أهـلَـهُ إنْ سِـيـلَ كَـيْـفَ مَـعَـادُهُ ومَـعَـاجُـهُ[٢]
أيـقُـولُ: جَـاوزْتُ الـفُـرَاتَ ولـم أَنَـلْ ريًّـا لَـدَيْـهِ وقـد طَـغَـتْ أمْـواجُـهُ
ورَقِـيتُ فـي دَرجِ الـعُـلاَ فـتـضَـايـقَـتْ عـمَّـا أُريـدُ شِـعَـابُـهُ وفِـجَـاجُـهُ[٣]
ولـتـخـبـرَنَّ خَـصَـاصَـتـي بِـتَـمَـلّـقِـي والـمَـاءُ يُـخـبـرُ عَـنْ قَـذَاهُ زُجـاجُـهُ[٤]
عِـنْـدي يَـواقِـيـتُ الـقَـريـضِ ودُرُّهُ وعَـلَـيَّ إكْـلـيْـلُ الـكَـلامِ وتَـاجُـهُ[٥]

---

(١) **النازلة**: المصيبة ـ **ضاق ذرعاً**: ملّ ويئس ـ **المخرج**: طريق الخلاص.

(٢) **المعاج**: الميل من عاج إلى أو على المكان، يعوج عوجاً **ومعاجاً**: عطف **وعاج عن غايته**: رجع عنها.

(٣) **الشعاب**: جمع الشُعب وهو الطريق بين جبلين ـ **الفجاج**: جمع فجّ وهو الطريق الواسعة بين جبلين.

(٤) **الخصاصة**: شدّة الفقر ـ **التملّق**: الرّياء أي إظهار خلاف ما في القلب.

(٥) **اليواقيت**: جمع ياقوت وهو من الحجارة الكريمة وقوله يواقيت القريض من باب الاستعارة ـ **الدرّ**: اللؤلؤ.

تَـرْبـى عـلـى رَوْضِ الـرُّبَـا أزْهَـارُهُ ... ويَـرُفُّ فـي نـادي الـنَّـدى دِيـبَـاجُـهُ[1]
والـشَّـاعِـرُ الـمِـنْـطـيـقُ أسـوَدُ سَـالـخٌ ... والـشُّـعْـرُ مـنـهُ لُـعـابُـهُ ومُـجـاجُـهُ[2]
وعَـدَاوةُ الـشُّـعَـراء داءٌ مُـعْـضِـلٌ ... ولـقـد يَـهُـونُ عـلـى الكَـريـمِ عِـلاجُـهُ[3]

(٣٢)

صَبْراً جَميلاً

ذكر ابن كثير أن الإمام الشافعي اقتبس من الحديث قول النبيّ ﷺ فقال[4]:

صَـبْـراً جَـمِـيـلاً مـا أَقْـرَبَ الـفَـرَجَـا ... مَـنْ راقَـبَ الـلّـهَ فـي الأُمـورِ نَـجَـا
مَـنْ صَـدَقَ الـلّـهَ لَـمْ يَـنَـلْـهُ أذىً ... ومَـنْ رَجـاهُ يَـكـونُ حَـيْـثُ رَجَـا[5]

---

(١) **الرّبا**: جمع رابية، المرتفع من الأرض ـ **الديباج**: الحرير.
(٢) **المنطيق**: ذو المنطق والبلاغة ـ **سالخ**: صفة الحيّة التي تسلخ جلدها كل عام ـ **اللعاب**: الريق ـ **المجاج**: عصارة الشيء.
(٣) **الداء المعضل**: المستعصي.
(٤) **انظر ابن كثير**: البداية والنهاية.
(٥) **لم ينله الأذى**: لم يصبه.

قافية الحاء

(٣٣)

إنّ الجوابَ مِفْتاحُ

قال الإمام الشافعي مبيناً فضيلة السكوت والصّمت عن الجاهل:

قالوا سكتَّ وقد خُوصِمْتَ قُلْتُ لهُمْ ... إنَّ الجَوابَ لِبابِ الشَرِّ مِفْتاحُ[1]

والصَّمتُ عَنْ جَاهلٍ أو أَحْمَقٍ شَرَفٌ ... وفِيه أيْضاً لِصَونِ العِرْض إصْلاحُ[2]

أما تَرَى الأُسْدَ تُخْشى وهْيَ صامِتَةٌ؟ ... والكَلْبُ يُخْسى لَعَمْري وهوَ نَبَّاحُ[3]

(٣٤)

مَعَاذَ الله

جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي[4] قوله: حدّث الربيع بن سليمان قال: كنّا عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسّم، ثم كتب فيها ودفعها إليه. قال: فقلنا ليسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأنا وإذا فيها:

سَلِ المفْتِيَ المكيَّ هَلْ في تَزوارٍ ... وضَمَّة مُشْتاقِ الفُؤادِ جُناحُ[5]

وقال: وإذا إجابة أسفل من ذلك:

---

(١) **خوصم**: المجهول من **خاصم مخاصمة** (فلاناً): نازعه وجادله.

(٢) **الأحمق**: الفاسد الرأي أو قليل العقل ـ **صون العرض**: حفظه، **والعرض**: الشرف والمروءة وكل ما يجب حمايته.

(٣) **يُخسى الكلب**: يرمى بالحجارة والحصى.

(٤) **ياقوت الحموي**: معجم الأدباء (١٧/ ٣٠٥).

(٥) **المكيّ**: نسبة إلى مكّة المكرمة ـ **تزوار**: مصدر تزوار القوم زار بعضهم بعضاً فهم يتزاورون ـ **الجناح**: الإثم ومنه قولهم: ﴿**لا جناح عليك**﴾، وفي القرآن الكريم: ﴿**فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة**﴾ [النساء: ٢٣] أو قوله تعالى أيضاً: ﴿**فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا**﴾ [النساء: ١٠].

أَقُولُ: مَعَاذَ اللّهِ أنْ يُذْهِبَ التّقَى ... تَلاصُقُ أكْبَادٍ بِهِنَّ جِراحُ[1]

قال الرّبيع: فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت: يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا شاباً؟ فقال لي: يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرّس هذا الشّهر يعني شهر رمضان ـ وهو حدث السن، فسأل هل عليه بجناح أن يقبّل أو يضم من غير وطء؟ فأفتيته بهذه الفتيا. قال الربيع فتبعث الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنّه مثل ما قال الشافعي، فما رأيت فراسة أحسن منها.

(٣٥)

قاسٍ وجَهولُ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

فَقيهاً وصُوفيّاً فكُن ليسَ واحِداً ... فإني وَحَقِّ الله إيّاك أنْصَحُ[2]

فَذلكَ قاسٍ، لم يَذُقْ قلبُهُ تُقَى ... وهذا جهُولٌ، كيف ذُو الجَهْلِ يصلُحُ؟

(٣٦)

أحْسَنُ بِالإنْسَانِ

ذكر البيهقي[3] أن الحسين بن عبد الرحمن أنشد للإمام الشافعي قوله:

أُقْسِمُ بِالله لَرَضْخُ النَّوى ... وشُرْبُ ماءِ القُلُبِ المَالِحَه[4]

أَحْسَنُ بِالإنْسانِ مِنْ حِرْصِهِ ... ومِنْ سُؤالِ الأوجُهِ الكَالِحَه[5]

---

(١) **المعاذ**: الملجأ. يقال **معاذ الله ومعاذ** وجه الله أي **أعوذ** بالله أو بوجه الله ـ **يقول**: وهو يستعيذ بالله إن تقارب القلوب الجريحة لا يذهب التقى ولا يشكل إثماً.

(٢) **الفقيه**: العالم بالفقه، **والفقيه** من كان شديد الفهم عالماً ذكيّاً، والفقه هو العلم بالشيء والفهم له، والعلم بالأحكام الشرعيّة ـ **الصّوفي (في نظر جماعة الصوفية)**: من كان فانياً بنفسه باقياً بالله متصلاً بحقيقة الحقائق.

(٣) **البيهقي**: كتاب مناقب الشافعي (٢/ ٦٥)، وحسين بن عبد الرحمٰن هو أبو عبد الله الغزيّ.

(٤) **رَضْخ**: مصدر رضخ النوى أو الحصى: كسره، **والرّضيخ** النوى المكسّر ـ **النّوى**: جمع نواة وهي عجمة التمر ونحوه أي حبّه أو بزره ـ **ماء القليب**: ماء البئر، والقليب جمع **قُلب وأقلبة وقُلُب** البئر سمّيت بذلك لأنه قلب ترابها.

(٥) **الحرص**: الجشع والبخل ـ **الأوجه الكالحة**: العابسة ـ يقول وهو يقسم بالله أولى بالإنسان وأحسن لمروءته وكرامته أن يكسر النّوى ويشرب ماء البئر المالحة من أن يكون جشعاً وبخيلاً ويستجدي اللؤماء أصحاب الوجوه الكالحة.

قافية الدال

(٣٧)

هُوَ الرّدى

قال الأصبهاني في «حلية الأولياء»: حدثنا ابن القاسم قال: أملى علينا الزّبير بن عبد الواحد يقول: سمعت الحسن بن سفيان يقول: سمعت حرملة يقول: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول:

تَـمَـنَّـى رِجَـالٌ أَنْ أمُـوتَ وإنْ أمُـتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بأوحَدِ[١]
وما مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلي بِضَائري ولا عَيْشُ مِنْ قدْ عَاشَ بَعْدِي بمُخلِدي[٢]
لَـعَـلَّ الّـذي يَـرْجُـو فَـنَـائـئي ويَـدَّعـي بِهِ قَبْل مَوْتي أنْ يكُونَ هُوَ الرَّدي[٣]

(٣٨)

لَمْ أرَ غيْرَ شامِتِ

جاء في «نور الأبصار»[٤] أن ابن عبد الحكم قال سمعت أشهب يدهو على الشافعي فذكر ذلك للإمام الشافعي فقال:

ولـمَّـا أَتَـيْـتُ أَطْـلُـبُ عِـنْـدَهُـمْ أخـا ثِـقـةٍ عِـنْـدَ ابـتِـلاءِ الـشَّـدَائـدِ[٥]

---

(١) **لست فيها بأوحد**: أي ليست وحيداً.

(٢) **ضائري**: ضارّي من الضرّ وهو ضد النّفع ـ **مخلِد**: اسم فاعل من أخلده: جعله خالداً أي باقياً على مرّ الأيام.

(٣) **الفناء**: الزّوال ـ **يدّعي**: يزعم ـ **الردَى**: الموت.

(٤) **الشبلنجي نور الإبصار في** مناقب آل بيت النبيّ المختار ص ٧٣.

(٥) **ابتلاء الشدائد**: اختبارها، **والشدائد**: المحن والمصائب.

تـقـلّـبْـتُ فـي دَهْـري رَخَـاءً وشِـدَّةً ... ونَاديْتُ في الأَحْياءِ هَلْ مِنْ مُساعِدِ
فلَـمْ أرَ فـيـمـا ساءَنـي غـيْـرَ شـامِـتٍ ... ولَـمْ أَرَ فِـيمـا سَـرَّنـي غَـيْـرَ حَـاسِـدِ[١]

(٣٩)

مَا لَهُمْ عَدَدُ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

إنّـي صَـحِـبْـتُ الـنَّـاسَ مَـا لَـهُـمْ عَـدَدُ ... وكُنْتُ أحسَبُ أنّي قد مَلأتُ يَدي[٢]
لَـمَّـا بَـلَـوْتُ أخِـلاّئـي وَجَـدتُـهُـمُ ... كالدَّهْرِ في الغَدْرِ لَمْ يُبْقُوا عَلى أحَدِ[٣]
إن غِبْتُ عَنْهمْ فَشَرُّ النَّاسِ يشْتِمُني ... وإنْ مَرِضْتُ فَخَيْرُ النَّاسِ لم يَعُدِ[٤]
وإنْ رَأَوْنـي بِـخَـيْـرِ سَـاءَهـمْ فَـرَحـي ... وإنْ رأونـي بِـشَـرٍّ سـرَّهُـمْ نـكَـدِي[٥]

(٤٠)

قُلْتُ: كلاّ

وقال الإمام الشافعي:

قَـالُـوا تَـرَفَّـضْـتَ قُـلْـتُ: كَـلاَّ ... مَـا الـرَّفْـضُ دِيـنـي وَلاَ اعْـتـقَـادِي[٦]
لَـكِـنْ تَـوَلَّـيْـتُ غـيـرَ شَـكٍّ ... خَـيْـرَ إمَـامٍ وخَـيْـرَ هَـادي
إن كَـانَ حُـبُّ الـولـيِّ رَفْـضـاً ... فَـإنَّ رفْـضـي إلـى الـعِـبَـادِ[٧]

---

(١) **الشّامت**: الذي يفرح ببلية الآخرين.
(٢) **ملأ يده**: نقيض فرغت يده، كناية عن الامتلاك والوثوق.
(٣) **بلوت**: اختبرت ـ **الأخلاء**: الخلان، الأصحاب.
(٤) **لم يعد**: لم يزر من عاده: زاره في مرضه.
(٥) **النّكد**: الحزن والهم وسوء الطالع.
(٦) **ترفّض**: صار على مذهب الرافضة أو هي فرقة من أصحاب الشيعة، والرّوافض هم الذين تركوا قائدهم في حرب أو سواه ـ **الاعتقاد**: العقيدة.
(٧) **الوليّ**: النّصير، الحليف، الصّهر، الصديق، المحّب.

(٤١)

كَمْ ضَاحِكٍ

وجاء في العمدة[١]: قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ومُتْعَبِ العَيْشِ مرتاحاً إلى بلد ... والموتُ يطلبُهُ مِنْ ذلك البلدِ

كَمْ ضاحكٍ والمَنَايَا فَوْقَ هامتِهِ ... لو كَانَ يَعْلَمُ غَيْباً مَاتَ من كَمَدِ[٢]

منْ كَانَ لَمْ يُؤتَ عِلْماً في بَقاءِ غَدِ ... مـاذَا تَفَكُّرُهُ في رِزقِ بعْدِ غَدِ

(٤٢)

عَفَا الله

جاء في معجم الأدباء[٣]: قرأت في أمال أملاها أبو سليمان الخطابي على بعض تلامذته، قال الشيخ: كان الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يوماً من أيام الحج جالساً للنظر، فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها بيتان: قال: فبكى الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ وقال: ليس هذا يوم نظر، هذا يوم دعاء، ولم يزل يقول: اللهمّ، اللهمّ حتى تفرّق أصحابه والبيتان هما:

عَفَا اللّهُ عَنْ عَبْدٍ أعَانَ بدَعْوَةٍ ... خَليليْن كانَا دائِمَيْنِ عَلَى الوُدِّ

إلى أن مَشَى واشِي الهَوَى بِنَميمَةٍ ... إلى ذَاكَ مِنْ هَذا فَزَالا عَنِ العَهْدِ[٤]

(٤٣)

حَسْبُكَ حظّاً

قيل:[٥] جاء رجل إلى الشّافعي، فقال له: أصلحك الله: صديقك فلان عليل. فقال الشّافعي: والله لقد أحسنت إلي وأيقظتني لمكرمة ودفعت عنّي اعتذاراً يشوبه الكذب، ثم قال:

أرَى راحَةً للحَقِّ عِنْدَ قَضَائِهِ ... ويَثْقُلُ يَوْماً إنْ تَرَكْتَ على عَمْدِ[٦]

---

(١) أي العمدة لابن رشيق.

(٢) **هامته**: رأسه ـ **الكمد**: الحزن الشديد.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٧/ ٣٠٦).

(٤) **واشي الهوى**: العذول الذي يسعى لفرقة الأحبّة ـ **العهد**: أي عهد الحبّ والوفاء له.

(٥) روى ذلك ياقوت في معجم الأدباء نقلاً عن خيثمة بن سليمان بن حيدرة.

(٦) **قضاء الحق**: تأديته وفعلُه بأحكام ـ **ترك على عمد**: أي متعمّداً عن سابق تصوّر.

وحَسْبُكَ حظًّا أن تُرَى غَيْر كَاذِبٍ وقولُكَ لم أَعْلَمْ وذَاكَ مِنَ الجَهْدِ[1]
ومَنْ يَقْضِ حَقَّ الجَارِ بَعْدِ ابنِ عَمّهِ وصَاحِبِهِ الأدْنى عَلى القُرْبِ والبُعدِ
يَعِشْ سَيِّداً يَسْتعِذْبُ النّاسُ ذِكْرَهُ وإنْ نَابَهُ حقٌّ أتوهُ على قَصْدِ[2]

(٤٤)

ولَوْلا خَشْيَةُ الرّحمنِ

وقال الإمام الشّافعي رضي الله عنه:

ولولاَ الشِّعْرُ بالعُلَماءِ يُزْري لكُنتُ اليَوْمَ أشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ[3]
وأَشْجَعَ في الوَغَى من كُلِّ ليْثٍ وآلِ مُهَلَّبٍ وبَنِي يَزِيدِ[4]
ولولا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ ربِّي حَسِبْتُ النّاسَ كلَّهُمُ عَبيدِي[5]

(٤٥)

خَمْسُ فَوَائِد

وقال رضي الله عنه يعدّد فوائد السّفر والاغتراب[6]:

تَغرّبْ عَنِ الأَوْطَانِ في طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرْ فَفي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تفرُّجُ همٍّ، واكْتِسابُ مَعِيشَةٍ وعِلْمٌ، وآدابٌ، وصُحْبَةُ ماجِدِ[7]

---

(١) **الجهد**: المشقّة.

(٢) **يستعذب الناس ذكره**: يجدونه عذباً ويرتاحون لسماعه ـ **نابه الحق**: أصابه.

(٣) **يزري بالعلماء**: يحطّ من قدرهم ـ **لبيد**: هو لبيد بن ربيعة من بني عامر، جاهلي مخضرم من أصحاب المعلّقات.

(٤) **الوغى**: الحرب ـ **الليث**: الأسد ـ **آل مهلب وبني يزيد** من قادة الحروب في الإسلام.

(٥) **الخشية**: الخوف والرهبة ـ **الرحمٰن**: الرحيم من أسماء الله الحسنى.

(٦) انظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من الزّمان (٢/٢٦).

(٧) **تفرّج الهم**: زوال شدّته ـ **الماجد**: الكريم ذو المروءة.

(٤٦)

لا تَنْقَضي. . .

وقال الشافعي رضي الله عنه يذكر كثرة محن الزمان وقلّة أعياد السّرور فيه:

مِحَنُ الزَّمانِ كَثيرةٌ لا تَنْقَضي ... وسُرورُهُ يأْتيكَ كالأَعْيادِ[١]

مَلَكَ الأكابِرَ فاسترَقَّ رِقابَهُم ... وتَراهُ رِقّاً في يَدِ الأَوْغادِ[٢]

(٤٧)

خَلِّ الهَمَّ عَنّي

وقال رضي الله عنه مفوّضاً أمره إلى الله مؤمناً بعنايته غير مهتم بشأن الغد طالما للغد رزقه الجديد:

إذا أصبَحتُ عِندِي قُوتُ يَومي ... فَخَلِّ الهَمَّ عنِّي يا سَعيدُ[٣]

ولا تَخْطُرْ هُمُومُ غَدٍ ببالي ... فإنَّ غَداً لَهُ رِزْقٌ جَديدُ[٤]

أُسَلِّمُ إنْ أراد الله أمْراً ... فأتْرُكُ ما أُريدُ لِمَا يُريدُ[٥]

(٤٨)

لا تيأسَنْ. . .

وقال الشافعي رضي الله عنه داعياً إلى الإيمان بلطف الله وعفوه:

إنْ كُنتَ تَغْدُو في الذُّنوبِ جَليدَا ... وتَخافُ في يَوْمِ المَعَادِ وَعِيدا[٦]

---

(١) **محن الزمان**: مصائبه ونوائبه ـ **يقول** إن مصائب الزمن كثيرة لا تنتهي، لكن حسراته قليلة وهي أشبه بالأعياد لأنها محدودة ومعدودة.

(٢) **الأكابر**: جمع الأكبر اسم تفضيل من الكبير ـ **استرق رقابهم** استعبدهم ـ **الرق**: العبد ـ **الأوغاد** جمع وغد وهو المرذول من النّاس أو الأحمق الضعيف العقل.

(٣) **قوت يومي**: حاجة يومي من الطعام التي تسدّ رمقي ويقوم بها بدني ـ **خلّ الهمّ**: دع الهم.

(٤) **لا تخطر ببالي**: لا أفكر بها.

(٥) **يقول**: أنني أسلم أمري إلى إرادة الله، جاعلاً إرادتي أرادته.

(٦) **الجليد**: ضد البليد ـ **يوم المعاد**: يوم الحساب والنشور ـ **الوعيد**: التهديد.

فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ المُهَيْمِنِ عَفْوُهُ ... وأَفَاضَ من نِعَمٍ عَلَيْكَ مَزِيدا[1]
لا تيْأسَنْ من لُطْفِ ربِّكَ في الحَشَا ... في بَطْنِ أُمِّكَ مُضغَةً وَوَلِيدَا[2]
لَوْ شَاءَ أنْ تَصْلى جَهَنَّمَ خَالِدا ... ما كانَ ألهَمَ قَلْبَكَ التَّوْحِيدا[3]

(٤٩)

الخَلْقُ لَيسَ بِهَادٍ

قيل[٤]: حدثنا محمد بن إبراهيم قال: حدث شعيب بن محمّد الدّبيلي قال: أنشدنا الشافعي:

لَيْتَ الْكِلابَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً ... وَلَيْتَنَا لا نَرَى مِمَّا نَرَى أَحَدَا[5]
إنَّ الكِلابَ لَتَهْدي في مَوَاطِنِها ... والخَلْقُ ليسَ بِهَادٍ، شَرُّهُمْ أبَدَا[6]
فاهرُبْ بنفسِكَ واستَأنِسْ بوحْدَتِهَا ... تبقَ سَعيداً إذا ما كُنْتَ مُنفرِدَا[7]

(٥٠)

تَقْوى اللهِ أَفْضَلُ

قيل[٨]: حدّثنا محمد بن إبراهيم قال: حدثنا يوسف بن عبد الأحد قال: قلت للمزني كان الشافعي يتراوح بين بيتين من الشعر ما هما؟ فأنشدني:

يُريدُ المَرْءُ أن يُعطى مُنَاهُ ... ويَأْبَى اللّهُ إلاّ مَا أرادَ[9]
يقُولُ المَرْءُ فائِدَتي ومَالي ... وتَقْوى اللهِ أفضَلُ ما استفادَا

---

(١) **المهيمن**: من أسماء الله الحسنى، بمعنى المؤمن الذي يجعل خلقه في أمن من الخوف، والمهيمن القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم ـ **أفاض المزيد من نعمه**: جاد وأعطى المزيد منها.
(٢) **في الحشا**: أي وأنت في أحشاء أمك منذ كنت مضغة.
(٣) **تصلى جهنم**: أي تصلى نار جهنم ـ **التوحيد**: الإيمان بوحدانية الله.
(٤) **انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** للأصبهاني (٩/ ١٤١).
(٥) **وفي رواية الربيع**: وإنّنا في موضع ليتنا.
(٦) **وروي أيضاً**: في مراجعها، في موضع في مواطنها.
(٧) **وفي رواية الربيع أيضاً** فانج في موضع فاهرب.
(٨) **انظر حلية الأولياء** وطبقات الأصفياء (٩/ ١٥١).
(٩) **مناه**: أمنيته، أي ما يريده ويتمنّاه.

(٥١)

عاداكَ عن حَسَدِ

وقال الإمام الشافعي في عداوة الحسّاد[١] :

كُـلُّ الـعَـدَاوةِ قَـدْ تُـرْجـى مَـوَدَّتُـهـا ... إلاَّ عـداوةَ مـن عَـاداك عـن حَـسَـدِ
ومـتُـعـبُ الـعـيـشِ مُـرْتـاحـاً إلـى بـلـدٍ ... والـمَـوْتُ يَـطْـلُـبُـهُ مـن ذَلِـكَ الـبَـلَـدِ

(١) **انظر نور الأبصار للشبلنجي**، حيث ورد البيتان الأول والثاني، وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ١٠)، **حيث ورد البيت الأول** مصدّراً بقوله: كلّ العدواة قد ترجى إماتتها.

قافية الرّاء

(٥٢)

لَسْتُ بِخَاسِرِ

وقال الشافعي مادحاً سكوته فهو عنده لا خسر فيه:

وَجَدْتُ سُكُوتي مَتْجَراً فَلَزِمتُهُ ... إذَا لَمْ أجد رِبْحَاً فَلَسْتُ بِخاسِرِ[1]

وما الصّمْتُ إلاَّ في الرِّجالِ مَتاجرٌ ... وتاجِرُهُ يَعْلُو عَلَى كُلِّ تاجِرِ

(٥٣)

لا أَدْري

جاء في معجم الأدباء[2] عن أبي بكر ابن بنت الشّافعي، قال الشّافعي بمكة وقد أراد الخروج إلى مِصْر:

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي تَتُوقُ إلى مِصْرِ ... ومِنْ دُونِها أرْضُ المَهامِه والقَفْرِ[3]

فَوَالله لا أدْري أَلِلْفَوْزِ والغِنى ... أُسَاقُ إلَيْها أمْ أُسَاقُ إلى القَبْرِ

---

(١) **يقول لزمت السكوت**: لأنه أشبه بمتجر غير خاسر.

(٢) **وورد الخبر أيضاً** في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣/ ٢٢)، نقلاً عن أبي سعيد المكّي.

(٣) **تتوق**: تشتاق وتحنّ ـ **المهامه**: جمع المهمه، والمهمه كما جاء في لسان العرب المفازة البعيدة والجمع مهامه، **والمهمه** أيضاً: الخرق الأملس الواسع، وعن الليث: **المهمه** الفلاة بعينها لا ماء فيها ولا أنيس ويقال: **المهمه** البلدة المقفرة، كما في قول الشاعر:

في تيهِ مهمهةٍ كأنّ صُوَيَها ... أيدي مخايعة تكفّ وتنهَدُ

وفي حديث قسّ: المهمه المفازة والبريّة القفر.

(٥٤)

إلاّ . . .

وقال داعياً إلى حفظ ماء الوجه وعدم الخضوع إلا للبارىء العظيم:

وصُنِ الوَجْهَ أنْ يَذِلَّ ويَخْـ ... ـضَعَ إلاّ لِلَّطِيفِ الخَبِيرِ[١]

(٥٥)

. . . مِثْلُ ظِفْرِك

جاء في نور الأبصار[٢] قول الإمام الشافعي:

ما حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظِفْرِك ... فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أمْرِكْ[٣]

وإذا قَصَدْتَ لِحَاجَةٍ فاقْـ ... ـصِدْ لِمُعْتَرِفٍ بِـ كْ[٤]

(٥٦)

لَمْ أَجِدْ لي صَاحِباً

وقال رضي الله عنه:

كُنْ سَائِراً في ذا الزَّمانِ بِسَيْرِه ... وعَنِ الوَرَى كنْ راهِباً في دَيْرِهِ[٥]

واغسِلْ يدَيْكَ من الزَّمانِ وأهلِهِ ... واحْذَرْ مودَّتهم تنَلْ مِنْ خَيْرِهِ[٦]

إنِّي اطَّلَعْتُ فلم أَجِدْ لي صَاحِباً ... أصحبُهُ في الدَّهر ولا في غَيْرِهِ

فتركْتُ أسْفَلَهُمْ لِكَثْرةِ شرِّهِ ... وترَكْتُ أعلاهُم لِقِلَّةِ خيرِهِ[٧]

---

(١) **صن الوجه:** احفظه ـ **يقول الإمام الشّافعي** احفظ ماء وجهك من المذلّة ولا تخضع إلا لله اللطيف الخبير.

(٢) **انظر الشبلنجي نور الأبصار** في مناقب آل بيت النبي المختار ص ٧٩.

(٣) **يدعو الإمام الشافعي** إلى الاعتماد على النفس في كلّ الأمور وعدم الاتكال على أحد، متمثّلاً بحكّ الظفر للجلد، فالأولى أن يحك المرء جلده بظفره هو دون غيره.

(٤) **ينصح بأن يطلب الإنسان حاجته** عند من يقدره حقّ قدره وإلا لا يجد المرء من يقضي له حاجته.

(٥) **الورى:** الناس.

(٦) **يدعو إلى الحذر من الزمان** وأهله لأن مودّة الناس ليست في الغالب صادقة ولا دائمة.

(٧) **يقول إنه أعرض عن النّاس:** لأن أسفلهم كثير الشرّ وأعلاهم قليل الخير.

(٥٧)

فَوْقَ أمري

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أفـكـرُ فـي نَـوَى إلْـفـي وصَـبْـري   وأَحْـمَـدُ هِـمَّـتـي وأُذمُّ دَهْـري[١]
ومـا قَـصَّـرْتُ فـي طَـلَـبٍ ولـكِـنْ   لِـرَبِّ الـنـاسِ أمـرٌ فَـوْقَ أمْـرِي[٢]

(٥٨)

هُنَاكَ وَهَا هُنا

وقال الشافعي مفتياً[٣] بقوله:

هـنـاك مَـظْـلـومـةٌ غـالَـتْ بـقِـيـمَـتِـهـا   وهـا هُـنـا ظَـلَـمَـتْ هـانَـتْ عَـلَـى البَـاري

(٥٩)

لَيس كثيراً

ورد في مناقب الشافعي للبيهقي[٤] قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

وأكثِرْ مِنَ الإخْوانِ ما اسْطَعْتَ إنّهـمُ   بُـطُـونٌ إذا اسْـتَـنْـجَـدْتَّـهُـمْ وظُـهُـورُ[٥]
ولَـيْـس كَـثـيـراً ألْـفُ لِـواحِـدٍ   وإنَّ عَـدوًّا واحِـداً لَـكَـثـيـرُ[٦]

---

(١) **النوى**: البعد ـ **الإلف**: الصاحب أو الصديق أو الحبيب الذي نألفه.

(٢) **يقول إن أمر الله فوق كل أمر.**

(٣) **جاء هذا في زهر الربيع** وقد قيل بأنّ المظلومة المعنية في أول البيت هي دية اليد إذا قطعت ظلماً فإن كانت يد حرّ شريف ففداؤها خمسمائة دينار ذهباً، المظلومة الثانية فهي يد السارق لأنّها قد تقطع بسبب سرقتها شيئاً بخساً قد لا تزيد قيمته على جزء من الدينار.

(٤) **انظر أيضاً** تنبيه المغتربين للشعراني ص ٩٩.

(٥) **يدعو إلى الإكثار من الإخوان** وهو يعني الصادقين الأوفياء لأنهم أعوان الإنسان في **النوائب والأحداث**.

(٦) **يقول**: لا تستكثر أن يكون معك **ألف** من الإخوان، فالكثير العدو ولو كان واحداً.

(٦٠)

قِيلَ لي . . .

جاء في «نور الأبصار»[١] قول الإمام الشافعي:

قِيَلَ لي قَدْ أَسَى عَلَيْكَ فُلانٌ ... ومُقَامُ الفَتَى عَلَى الذُّلِّ عارُ[٢]
قُلتُ قَدْ جَاءَني وأحْدَثَ عُذراً ... ديةُ الذَّنبِ عِندنَا الاعْتِذَارُ[٣]

(٦١)

لكنّني راضٍ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

وما كُنْتُ أَرْضى مِنْ زَماني بِما تَرى ... وَلكِنَّني رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الدَّهرُ[٤]
فإن كانَتِ الأيَّامُ خانَتْ عُهودَنَا ... فإنّي بِها رَاضٍ وَلكِنَّها قَهْرُ

(٦٢)

إغْتَرَرْتَ بِها

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف عوايق الاغترار بأيّام الدهر ولياليه:

تاهَ الأُعَيْرِجُ واسْتَعْلى بِهِ الخَطَرُ ... فقُلْ لهُ خَيْرُ ما اسْتَعْمَلْتهُ الحَذَرُ[٥]
أَحْسَنْتَ ظنَّكَ بالأيَّامِ إذْ حسُنَتْ ... ولم تَخَفْ سُوءَ ما يَأْتي بِهِ القَدَرُ
وسَالَمَتْكَ اللَّيالي فَاغْتَرَرْتَ بِها ... وعِنْدَ صَفْوِ اللَّيالي يَحْدُثُ الكَدَرُ[٦]

---

(١) **الشبلنجي**: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار.

(٢) **أسى عليك**: حزن فهو آس ـ **المُقام** (بضم الميم): الإقامة وموضعها وزمانها **والمَقام**: (بفتح الميم): المنزلة المرتبة.

(٣) **الدية**: جمع ديات، ما يعطى من المال بدل نفس القتيل وأصلها ودي والتّاء عوض الواو المحذوفة كما في عدة.

(٤) **وفي رواية**: وما كنت راض والصواب ما أثبتناه.

(٥) **تاه**: تكبّر وزها ـ **استعلى**: تكبّر وترفّع ـ **الخطر**: السّبق أو ما يراهن عليه ـ **الحذر**: الاحتراس.

(٦) **سالمتك الليالي**: لم تعادك ـ **صفو**: صفاء ـ **الكدر ـ نقيض الصفاء.**

(٦٣)

الدّهْرُ يَوْمَان

وقال الإمام الشافعي في تقلّب الدّهر بين الصفو والكدر:

الــدَّهــرُ يَــوْمــانِ ذا أَمْــنٌ وذَا خَــطَــرُ ... والـعَـيْـشُ عَـيْـشـانِ ذَا صَـفْـوٌ وذا كَـدَرُ
أمـا تَـرَى الـبَـحْـرَ تَـعْـلُـو فَـوْقَـهُ جِـيَـفٌ ... وتَـسْـتَـقِـرُّ بـأَقْـصـى قَـاعِـهِ الـدُّرَرُ[1]
وفـي الـسَّـمـاءِ نُـجُـومٌ لا عِـدادَ لَـهـا ... ولَـيْس يُكسَفُ إلاَّ الشَّمْسُ والقَمَرُ[2]

(٦٤)

وَحْدتي أَلَذُّ

وقال الإمام أبي عبد الله الشافعي في وصف استئناسه بالوحدة:

إذا لَـمْ أَجِـدْ خِـلاً تَـقِـيـاً فـوَحْـدتـي ... أَلَـذُّ وأشْـهـى مِـنْ غَـوِيٍّ أُعـاشِـرُهْ[3]
وأجـلِـسُ وَحْـدِي لِـلْـعـبـادةِ آمِـنـاً ... أَقَـرُّ لِـعَـيْـنـي مِـنْ جَـلِـيـسٍ أُحَـاذِرُه[4]

(٦٥)

لَسْتُ أَعْدَمُ قُوتاً

وقال الإمام الشافعي مخاطباً جبال جزيرة سرنديب مقيّداً بهمّته القعساء:

أمْـطِـري لُـؤلُـؤاً جِـبَـالَ سـرنـديـ ... ـبَ وَفِـيـضـي آبـارَ تَـكْـرورَ تِـبْـرَا[5]

---

(١) **الجيف**: جمع جيفة وهي الجثة النتنة ـ **تستقر**: ترسو وتثبت ـ **أقصى القاع**: قرارته ـ **الدّرر**: جمع درّة وهي اللؤلؤة العظيمة.

(٢) **يكسف**: يحجب من كسف الشيء غطّاه، وكسوف الشمس احتجابها نهاراً لحلول القمر بينها وبين الأرض.

(٣) **الخِلّ**: الصاحب ـ **تقياً**: ورعاً يخشى غضب الله فيتقيه بالعبادة والسيرة الحسنة ـ **الغوي الضالّ من غوى غيّاً**: ضلّ فهو غاوٍ **وغاوي**، وفي هذا قول دريد بن الصمّة معبّراً عن عصبيته القبلية:

ومـا أنـا إلاّ مـن غـزيّـة إن غَـوَتْ ... غَـوَيْـتُ وإن تـرشـد غـزيّـة أرشـد

(٤) **أقرّ لعيني**: أكثر قرّاً، أي اطمئناناً لها ـ **أحاذره** من حاذر أي حذر كل الآخر.

(٥) **جبال سرنديب**: جبال جزيرة سرنديب، وهي كما ذكر ياقوت في معجم البلدان في أحد بحار الهند=

أَنَـا إنْ عِـشْـتُ لـسْـتُ أعْـدَمُ قُـوْتـاً   وَإذا مــتّ لَــسْــتُ أعْــدَمُ قَــبْــرَا

هِـمَّـتِـي هِـمَّـةُ الـمُـلُـوكِ ونَـفْـسِـي   نَـفْـسُ حُـرٍّ تَـرَى الـمَـذَلَّـةَ كُـفْـرَا[1]

وإذا مـا قَـنِـعْـتُ بـالـقُـوتِ عُـمْـري   فَـلِـــمَـــاذَا أزُورُ زَيْـــداً وعَـــمْـــرَا

(٦٦)

كانَتْ أَجَلَّ

ورد في المستطرف[2] ونور الأبصار[3] قول الشافعي:

عَـلـيَّ ثِـيَـابٌ لـو يُـبَـاعُ جَـمِـيـعُـهـا   بفـلْـسٍ لكَـانَ الفِلْـسُ منْـهُـنَّ أكثـرَا[4]

وفـيـهـنَّ نَـفْـسٌ لَـوْ تُـقَـاسُ ببـعْـضِـهَـا   نُـفُـوسُ الـوَرَى كـانَـتْ أجَـلَّ وأكـبَـرَا[5]

وما ضَـرَّ نَـصْـلَ السَّـيفِ إخلاقُ غِـمدِهِ   إذا كـانَ عَـضْـبـاً أيـنَ وجَّـهْـتُـهُ فـرَى[6]

(٦٧)

أَطَاعَكَ وأَجَلَّكَ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

إقْـبَـلْ مَـعَـاذِيـرَ مَـنْ يَـأْتِـيـكَ مُـعْـتَـذِراً   إنْ بَـرَّ عِـنْـدكَ فـيـمَـا قَـالَ أوْ فَـجَـرَا[7]

= القصيتة يقال له هركند. وقيل: في جبال سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم وهو الرّهون وهو جبل عال يرى من مسافة بعيدة وفي هذا الجبل أثر قدم واحدة من قدمي آدم في حجر الجبل وطول هذا الأثر أو القدم سبعون ذراعاً تقريباً، وأما القدم الثانية كما تقول الروايات فقد كانت في البحر - **تكرور**: مناطق قوم من السودان في أقاصي بلاد المغرب وسكانها من الزّنوج كما جاء في معجم البلدان لياقوت.

(١) **يقول**: إنّ همته عالية أشبه بهمم الملوك وأن نفسه حرّة تأنف من الذلّ والصّغار كأنهما كفر.

(٢) **هو المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي.**

(٣) هو نور الإبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار للشبلنجي.

- **وقد وردت هذه الأبيات** على لسان الشافعي حين أراد الخروج من مكة إلى مصر حسب رواية أبي بكر ابن بنت الشافعي. قيل: أنه خرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد ولم يكن عليه إلا حزمة، فدخل الناس وخرجوا فلم ينتبه إليه أحد أو يلتفت إليه فقال (انظر الأبيات أعلاه).

(٤) **يصف ثيابه البخسة** التي كان يرتديها والتي لا تساوي فلساً.

(٥) **يقارن نفسه الكبيرة** بثيابه البخسة ويصفها بأنّها أعظم من نفوس النّاس والخلق جميعاً.

(٦) **إخلاق غمد السيف**: كونه خلقاً أي بالياً - **السيف العضب**: القاطع - **فرى السيف**: قطع.

(٧) **معاذير**: اعتذارات جمع معذرة - **برّ**: **من البرّ وهو الإحسان ونقيض البرّ الإساءة والفجور.**

لـقـدْ أطـاعَـكَ مـن يُـرْضِـيـكَ ظـاهِـرُهُ   وقَـدْ أَجَـلَّـكَ من يَـعْـصِـيكَ مُـسْـتَـتِـرا[1]

(٦٨)

إنْ كُنْت تَبْغي . . .

وقال الشافعي واعظاً داعياً إلى العمل الصالح لأنه السبيل إلى جنان الخلد:

يـا مَـن يُـعَـانِـقُ دُنـيَـا لا بَـقَـاءَ لَـهَـا   يُـمْـسي ويُـصْـبِـحُ فـي دُنْـيَـاهُ سـفَّـارَا[2]
هَـلاَّ تَـرَكْـتَ لِـذِي الـدُّنْـيَـا مُـعَـانَـقَـةً   حـتَّـى تُـعَـانِـقَ الْـفِـرْدَوْسَ أبْـكَـارَا[3]
إن كُنْتَ تَبْغي جِنانَ الخُلْدِ تَسْكُنُها   فَـيَـنْـبـغـي لَـكَ أنْ لا تـأمَـنَ الـنَّـارا[4]

(٦٩)

تَعَلَّمْ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

تـعـلّـمْ مـا اسْـتَـطَـعْـتَ تَـكُـنْ أمِـيـرَا   ولا تَـكُ جـاهِـلاً تَـبْـقـى أسِـيـرَا
تـعـلّـمْ كُـلَّ يَـوْمِ حَـرْفَ عِـلْـمِ   تَـرَى الـجُـهّـالَ كـلَّـهُـمْ حَـمِـيـرا[5]

(٧٠)

مِنَ الشَّقَاوَةِ

وقال الإمام[6] الشافعي رضي الله عنه:

ومِـنَ الـشـقـاوةِ أن تُـحِـبَّ   ومـن تُـحِـبُّ يُـحِـبُّ غَـيْـرَك

---

(١) **أجلّك**: من الإجلال وهو الاحترام والتعظيم.

(٢) **السفّار**: المسافر، والكثير السفر.

(٣) **الفردوس**: **الجنة ـ وقوله**: ابكاراً مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**فجعلناهنّ أبكاراً**﴾ [سورة الواقعة الآية ٣٦].

(٤) **تبغي**: تطلب ـ **الجنان**: جمع جنة، وهي الفردوس الموعود.

(٥) **يدعو إلى التعلّم وعدم الاستهتار** بالحرف الواحد من العلم لأن هذا له شأنه في جني ثمرات المعرفة، وهكذا يصبح الجهّال حميراً بالقياس إلى متعلّم الحرف.

(٦) **الرازي**: الشّافعي ومناقبه.

أو أنْ تُـريـدَ الـخَـيْـرَ لـلإنـ ... ـسـانِ وهْـو يُـريـدُ ضَـيْـرَكْ[1]

(٧١)

كَشَفْتُ حَقَائِقَها

جاء في معجم الأدباء[2] حدّث الحسين بن محمّد الزعفراني قال: سئل الشافعي عن مسألة فأجاب عنها ثم أنشأ يقول:

إذا الـمُـشْـكِـلاتُ تَـصَـدَّيـنَ لـي ... كَـشَـفْـتُ حَـقَـائِـقَـهـا بـالـنَّـظَـرْ[3]

لِـسَـانٌ كَـشِـقْـشِـقَـةِ الأرحـبِـيـ ... ـيَّ أو كـالـحُـسَـامِ الـيَـمَـانـي الـذَّكَـرْ[4]

ولَـسْـتُ بـإمّـعَـةٍ فـي الـرِّجـا ... لِ أُسَـائِـلُ هـذا وذا مـا الـخَـبَـرْ[5]

ولـكـنـنـي مِـدرَهُ الأصْـغَـرَيْـ ... ـنِ جـلاَّبُ خَـيْـرٍ وفـرَّاجُ شَـرْ[6]

(٧٢)

نَاظِرْ في سُكُونِ

وقال الشافعي يدعو إلى التّناظر الهادىء وينهى عن اللجاجة والمكابرة:

إذَا مَـا كُـنْـتَ ذا فَـضْـلٍ وعِـلْـمِ ... بِـمَـا اخْـتَـلَـفَ الأَوائِـلُ والأَواخِـرْ[7]

---

(١) **الضّير**: الضّرر والأذى.

(٢) **ياقوت**: معجم الأدباء (٦/ ٣٨٦) والحسين الزعفراني من الفقهاء وأصحاب الحديث، روى الكثير من أخبار الشافعي وآرائه وفتاويه. كان الزعفراني ضليعاً في اللغة طويل الباع بقضاياها ومسائلها كانت وفاته في أواسط القرن الثالث للهجرة في نحو السنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م).

(٣) **وفي رواية**: بالنظر في موضع للنظر ـ تصدّى له: تعرّض.

(٤) **الشقشقة**: شيء كالرّئة يخرج من فم البعير عند هياجة، ولا يقال شقشقة إلا للإبل العربيّة، وتطلق اللفظة مجازاً على الخطباء فيقال شقشقة الخطيب استعارة من شقشقة البعير.

(٥) **الإمّعة** في الرجال: من ليس له رأي يقوله لأن آراءه وإرادته هي آراء الآخرين وإرادتهم.

(٦) **المدره**: زعيم القوم الذائد عنهم بيده ولسانه فهو هكذا لسان القوم ـ **الأصغران**: هما القلب واللسان ولذا يقال **المرء بأصغريه** تنويهاً بقلبه أي عقله المدبّر ولسانه المفصح المبين ـ **جلاّب**: كثير الجلب **والجلْب مصدر جَلَب الشيء**: أتى به، أحضره ـ **فرّاج**: الكثير الافراج. **يقول**: إنه فصيح بليغ ذكي القلب بليغ اللسان قادر على تحقيق الخير وإحضاره ودفع الشرّ.

(٧) **الأوائل**: الأقدمون والأواخر المحدثون والمتأخرون زمناً.

فَنَاظِرْ من تُنَاظِرُ في سُكونٍ حَليماً لا تُلِحّ ولاَ تُكَابِرْ
يُفيدُكَ ما اسْتَفادَ بِلا امْتِنانٍ مِنَ النُّكَتِ اللَّطيفَةِ والنَّوَّادِرْ[1]
وإيّاكَ اللَّجُوجَ ومَنْ يِرائِي بِأَنّي قَدْ غَلَبْتُ ومَنْ يُفَاخِرْ[2]
فإنَّ الشَرَّ في جَنَبَاتِ هَذا يُمَنِّي بِالتَّقاطُعِ وَالتَّدَابُرْ[3]

(١) **النكت**: جمع نكتة وهي الطرفة والنادرة.
(٢) **اللجوج**: الملحاح ـ **المرائي**: مي المراءاة وهي الخداع والمخاتلة والتظاهر بخلاف ما في الباطن.
(٣) **التقاطع والتدابر**: أي القطيعة وعدم التواصل.

قافية السّين

(٧٣)

قَلِيلُ الحَمْلِ لِلدَّنَسِ

وقال الإمام الشافعي يدعو من جعل نفسه واعظاً للنّاس أن يصون نفسه من العيب والدّنس. . .

يَا واعِظَ النَّاسِ عمّا أَنتَ فَاعِلُهُ يا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهُ العُمْرُ بالنَّفَسِ
إحْفَظْ لِشَيْبكَ من عَيْبٍ يُدنِّسُهُ إنَّ البَياضَ قَليلُ الحَمْل لِلدَّنَسِ[١]
كحامِلٍ لِثِيَابِ النَّاسِ يَغْسِلُها وثوبُهُ غارِقٌ في الرِّجْسِ والنَّجَسِ[٢]
تَبْغي النجاةَ ولَمْ تَسْلُكْ طرِيقَتها إنَّ السَّفِينَةِ لا تَجْري على اليَبَسِ[٣]
ركُوبكَ النَّعشَ يُنْسيكَ الركُوبَ عَلَى ما كُنْتَ تَرْكَبُ من بَغْلٍ ومن فَرَسِ[٤]
يومَ القِيامةِ لا مَالٌ ولا وَلَدٌ وضَمَّةُ القَبْرِ تُنْسي لَيْلَةَ العُرُسِ

(٧٤)

قريبٌ مِنْ عَدُوٍّ

وقال الإمام الشافعي في الصّديق الصّدوق ودوره في أوقات الشدّة والحاجة للتآسي:

صَديقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بُؤسٍ قَريبٌ مِنْ عَدُوٍّ في القِياسِ[٥]

---

(١) **يدنّسه**: يلطّخه بمكروه أو قبيح ـ **الدّنس**: الوسخ.

(٢) الرّجس: القذر.

(٣) تبغي النجاة: تريد الخلاص ـ **اليبس**: الأرض اليابسة.

(٤) **النّعش**: سرير الميت.

(٥) **القياس**: المشابهة، والقياس قول مركب من قضايا إذا سلّم بها لزم عنها لذاتها قول آخر كما لو قلنا الطائر له جناحان، العصفور له جناحان فالعصفور طائر.

وما يَبْقَى الصَّديقُ بِكُلِّ عَصْرِ ... ولاَ الإخْوانُ إلا لِلتَّآسِي[1]
فعَبَرْتُ الدَّهْرَ مُلتمِساً بِجَهْدي ... أخا ثِقَةٍ فألْهاني التِمَاسِي[2]
تنكَّرتِ البِلادُ ومَنْ عَلَيْها ... كَأَنَّ أُناسَها لَيْسوا بِناسِ

(٧٥)

الله ذُو الآلاء

وقال يسأل الله اليقين والعون في الدنيا والآخرة:

قَلْبي بِرَحْمتِكَ اللّهُمَ ذو أَنَس ... في السّر والجهْر والإصباح والغَلَسِ[3]
وما تقلَّبتُ مِنْ نَوْمي وفي سِنَتي ... إلاَّ وذِكرُكَ بينَ النَّفْسِ والنَّفَسِ[4]
لقدْ مننتَ على قَلْبِي بِمعْرِفةٍ ... بأَنَّك الله ذُو الآلاءِ والقُدُسِ[5]
وقَدْ أتيْتُ ذُنوباً أَنْتَ تَعْلَمُها ... ولم تَكُنْ فأَضْحي فيها بِفِعْلِ مَسي[6]
فامنُنْ عَليَّ بذِكْرِ الصَّالحينَ ولا ... تَجْعَلْ عَليَّ إذاً في الدِّين مِنْ لَبسِ[7]
وكُنْ مَعي طُولَ دُنياي وآخِرَتي ... ويَوْمَ حَشْري بِما أنزلْتَ في عَبَسِ[8]

(٧٦)

لَقَلْعُ ضِرْسٍ أَهْوَنُ. . .

وقال الإمام الشافعي يصف وطأة السّؤال على نفس العزيز الأبيّ:

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وضَرْبُ حَبْسِ ... ونَزْعُ نَفْسٍ ورَدُّ أَمْسِ[9]

---

(١) **التآسي**: من تآسى القوم عزّى بعضهم بعضاً.

(٢) **عبرت الدهر**: أي اجتزته عبر الزمان ـ **ألهاني**: جعلني ألهو ـ **الالتماس**: الطّلب.

(٣) **الجهر**: نقيض: السرّ، الجهر البوح بالشيء وإعلانه ـ **المغلس**: من الغلس وهو ظلمة الليل.

(٤) **السّنة**: النّعاس أو النّوم. وفي رأى السنة أول النوم، وفي رأي آخر النوم إذا ثقل واستبد بصاحبه.

(٥) **الآلاء**: النّعم، جمع إلى.

(٦) **أتيت ذنوباً**: ارتكبتها ـ **فعل مسي**: فعل مسيء.

(٧) **اللبس**: الالتباس وهو اختلاط الأمور.

(٨) **يوم الحشر**: يوم الحساب في الآخرة ـ في عبس: التفات إلى قوله تعالى في سورة عبس: ﴿**وجوه يومئذ مسفرة**..﴾.

(٩) **قلع الضرس**: نزعه واستأصله ـ **نزع النفس**: إماتتها.

وقَــــرُّ بَـــــرْدٍ وقَـــــوْدُ قِـــــردٍ ... ودَبْـغُ جِـلْـدٍ بِـغَـيْـرِ شَـمْـسِ[1]
وأكْـــلُ ضَـــبٍّ وصَـــيْـــدُ دُبٍّ ... وصَـــرْفُ حُـــبٍّ بِـــأرْضِ خُـــرْسِ[2]
ونَـــفْـــخُ نَـــارٍ وحَـــمْـــلُ عَـــارٍ ... وبَـــيْـــعُ دارٍ بِـــرُبْـــعِ فَـــلْـــسِ
وبَـــيْـــعُ خُـــفٍّ وعُـــدْمُ إلْـــفٍ ... وضَـــرْبُ ألْـفٍ بِـحَـبْـلِ لِـقـلْـسِ[3]
أَهْـــوَنُ مِـــنْ وقْـــفَـــةِ الـــحُـــرِّ ... يَـــرْجُـــو نـــوالاً بِـــبَـــابِ نَـــحْـــسِ[4]

(٧٧)

لَيسَ يَنالُهُ

وقال رضي الله عنه يصف قيمة العلم في حياة الإنسان ويدعو إلى نيله بالهمة العالية والإرادة والتضحية:

الـعِـلْـمُ مَـغْـرَسُ كُـلِّ فَـخْـرٍ فـافْـتَـخِـرْ ... واحْـذَرْ يـفُـوتُـكَ فَـخْـرُ ذَاكَ الـمـغْـرَسِ[5]
واعْـلَـمْ بِـأنَّ الـعِـلْـمَ لَـيْـسَ يَـنَـالُـهُ ... مَـنْ هـمُّـهُ فـي مَـطْـعَـمٍ أوْ مَـلْـبَـسِ[6]
إلاَّ أخُـو الـعِـلْـمِ الـذي يُـعـنَـى بـهِ ... فـي حَـالَـتَـيْـه عَـارِيـاً أوْ مُـكْـتَـسـي
فـاجـعَـلْ لِـنَـفْـسِـكَ مِـنْـهُ حَـظّـاً وافِـراً ... واهْـجُـرْ لـهُ طِـيـبَ الـرُّقـادِ وعَـبِّـسِ[7]
فـلـعَـلّ يَـوْمـاً إنْ حَـضَـرْتَ بِـمـجْـلِـسٍ ... كـنـتَ الـرَّئـيـسَ وفَـخْـرَ ذاكَ الـمـجْـلِـسِ

(١) **القرّ**: البرد ـ **القود**: المراد قود الدّابة من أمام بخلاف السوق وهو من خلف.
(٢) **الضبّ**: من الزواحف شبيه بالحرذون ـ **الأرض الخرس**: الخرساء، التي لا نبات فيها ولا أثر للحياة.
(٣) **القلس**: الحبل الغليظ والضخم مثل حبال السفن.
(٤) **النوّال**: العطاء ـ **النّحس**: نقيض السّعد.
(٥) **يفوتك**: يتجاوزك ـ **المغرس**: موضع الغرس.
(٦) **يقول**: إن العلم نصيب طالبيه السّاهرين على تحصيله وليس يناله الذين كل همهم محصور في الطّعام والشراب.
(٧) **الرقاد**: **النوم** ـ **عبّس**: قطّب وجهه.

قافية الصاد

(٧٨)

أَرْشَدَني

قال الإمام الشافعي يذكر شكواه إلى المحدث وكيع[(١)] الذي دعاه إلى ترك المعاصي.

شَكَوْتُ إلى وَكيعٍ سُوءَ حِفْظي ... فأرشَدَني إلى تَرْكِ المَعاصِي[(٢)]
وأَخْبَرني بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونُورُ الله لا يُهدَى لِعاصِي

(٧٩)

شَهِدْتُ

وقال الإمام الشافعي يذكر بعض أركان الإسلام ويمتدح الراشدين:

شَهِدْتُ بأَنَّ اللّهَ لا رَبَّ غَيرُهُ ... وأَشْهَدُ أَنَّ البَعْثَ حَقٌّ وأُخلِصُ[(٣)]
وأَنَّ عُرَى الإيمانِ قَوْلٌ مُبيَّنٌ ... وفِعْلٌ ذَكيٌّ قَدْ يَزيدُ ويَنْقُصُ[(٤)]
وأَنَّ أبا بَكْرٍ خَليفةُ رَبِّهِ ... وكانَ أَبُو حَفْصٍ على الخَيْرِ يَحْرِصُ[(٥)]

---

(١) **وكيع**: هو ابن الجراح الرؤاسي، المكنّى بأبي سفيان. يعتبر من كبار محدّثي بغداد في القرن الثاني للهجرة. كانت ولادة وكيع بالكوفة. امتنع عن تولّي القضاء ورعاً، وفي الكوفة توفي سنة ١٩٧ هـ (٨١٢ م).

(٢) **أرشدني**: هداني ودلني ـ **المعاصي**: الذنوب.

(٣) **البعث**: النشور، الحساب في اليوم الآخر،

(٤) **العرى**: الروابط، جمع عروة.

(٥) **أبو حفص**: كنية عمر بن الخطاب ـ **يحرص على الخير**: يحافظ عليه ولا يتوانى.

وأُشــهـدُ رَبِّـي أنَّ عُـثـمـانَ فـاضِـلٌ   وأنَّ عـلـيَّـاً فَـضْـلُـهُ مُـتـخَـصَّـصُ[1]
أئِــمــةُ قَــوْمٍ يُــهْــتَــدى بُــهــداهُــمُ   لـحَـا الله مَــنْ إيَّـاهُـمُ يَـتَـنـقَّـصُ[2]

(١) **يشيد بالراشديَيْن**: عثمان وعليّ ويذكر فضلهما.

(٢) **لحا الله**: لعن - **يتنقص فلاناً**: ينتقص من قدره، يذمّه.

قافية الضّاد

(٨٠)

حُبُّ آلِ مُحَمّدٍ

وقال الإمام الشافعي[١] يعتدّ بحب آل محمد:

يَا رَاكباً قِفْ بالمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... واهْتِفْ بقَاعِدِ خيفِهَا والنَّاهِضِ[٢]
سَحَراً إذا فاضَ الحَجيجُ إلى مِنًى ... فَيْضاً كمُلتَطمِ الفُرَاتِ الفَائِضِ[٣]
إنْ كانَ رَفْضاً حُبُّ آلِ مُحمَّدٍ ... فليشْهَدِ الثَّقلانِ أني رافِضي[٤]

(٨١)

مِن عادَةِ الأيّام

وقال الإمام الشافعي يحذر من تجهّم الأيام وإعراض الدنيا بعد الإقبال داعياً إلى الجود والعطاء.

إذا لم تَجُودُوا والأمُورُ بِكُمْ تَمْضي ... وقَدْ ملكَتْ أَيْديكُمُ البَسْطَ والقَبْضَا[٥]
فماذا يُرَجَّى منكُم إنْ عُزِلتُمُ ... وعَضَّتْكُمُ الدُّنيا بأنيَابِهَا عَضّا[٦]

---

(١) **انظر**: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/ ٣٨٧).

(٢) **المحصب**: موضع في جوار مكة، على مسافة من منى وسمّي **بالمحصب من الحَصْب** وهو الرمي بالحجارة (**انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مادة المحصّب أو حصب**) ـ **مِنى**: أي وادي مِنى حيث ترمى الجمار وتراق دماء الأضحيات **انظر معجم البلدان لياقوت**) ـ **الخيف**: موضع في المحصب يعرف بخيف بني كنانة (معجم البلدان).

(٣) فاض الحجيج إلى منى: قصدوها كفيض من السيل المتلاطم ـ **الفرات**: نهر الفرات.

(٤) **الثّقلان**: الجن والإنس.

(٥) **الأمور بكم تمضي**: تذهب ـ **البسط**: نقيض القبض وهو مدّ اليد.

(٦) **عضتكم بأنيابها**: نهشتكم.

وتـسـتَـرْجِـعُ الأيَّـامُ مـا وَهَـبَـتْـكُـمُ   ومِنْ عـادةِ الأيَّامِ تَسْتَرْجِعُ القَرْضَـا[1]

(٨٢)

عُذْتُ بالوُدِّ. . .

وقال الشافعي[2] يصف رعايته الصديق وحرصه على حفظ ودّه وصونه بالتواصل وعدم الجفاء

لَـسْـتُ مِـمَّـنْ إذا جَـفَـاهُ أَخُـوهُ   أَظْـهَـرَ الـذَّمَّ أَوْ تَـنَـاولَ عِـرْضَـا[3]

بـلْ إذا صَـاحِـبِـي بَـدَا لـي جَـفَـاه   عُـذْتُ بـالـوُدِّ والـوِصـالِ لِـيَـرْضَـى

كـنْ كَـمَـا شِـئْـتَ لـي فـإنـي حَـمُـولٌ   وأوّلُ مَـنْ عَـنْ مَـسـاوِيـكَ أَغْـضـى[4]

---

(١) **وهبتكم**: أعطتكم دون مقابل ـ **القرض**: الدين.

(٢) **انظر** البيهقي: مناقب الشافعي (٢/ ٨٠).

(٣) **العرض**: الشرف والمروءة، وقوله تناول العرض شتمه وانتقص من قدره.

(٤) **حمول (فعول)**: كثير الاحتمال ـ **أغضي**: أغضّ الطّرف.

قافية العين

(٨٣)

أَوْقَعَهُ المقْدورُ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه يحذر من عواقب الظلم ودعاء المظلوم:

ورُبَّ ظَلُومٍ قَدْ كُفِيتَ بِحَرْبِهِ فأوقَعَهُ المَقْدُورُ أيَّ وقُوعِ[١]
فما كانَ لي الإسْلامُ إلاَّ تعبُّداً وأدْعِيَةً لا تُتَّقَى بِدُروع
وحَسْبُكَ أنْ يَنْجُو الظَّلومُ وخَلفَهُ سِهَامُ دُعَاءٍ مِنْ قِسيٍّ رُكُوعِ[٢]
مُرَيَّشةٌ بِالهُدْبِ من كُلِّ ساهرٍ مُنْهَلَّةٌ أطرافُهَا بِدُمُوعِ[٣]

(٨٤)

هَذا مُحَال . . .

وقال الشافعي رضي الله عنه يندّد بالنفاق والمنافقين الذين لا يتورعون عن التظاهر بحب الله وهم غارقون في العصيان والمعاصي:

تعْصي الإلهَ وأنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهِ هَذا مُحالٌ في القِياسِ بَديعُ[٤]
لَوْ كانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأطعتَهُ إنَّ المُحِبَّ لِمن يُحبُّ مُطِيعُ[٥]

---

(١) **المقدور**: القدر.

(٢) **الظّلوم**: الظالم ـ **القسي**: جمع قوس وهو بلفظ واحد للمذكر والمؤنث.

(٣) **مريشة**: من راش السهم ألزق عليه الريش أو ركبه ـ **الهدب**: الواحدة هدبة، جمع أهداب وهو شَعَر أشفار العينين ـ **منهلة**: منسكبة ومنذرفة.

(٤) **المحال**: المستحيل ـ **القياس**: يريد قياس المنطق. **يقول**: كيف تظهر حبّ الله وأنت تعصي أوامره، إن هذا مناقض للمنطق والواقع.

(٥) **يقول**: إن من دلائل الحب الصادق إطاعة المحبوب.

فـي كُـلِّ يـومٍ يَـبْـتَـدِيـكَ بِـنِـعْـمَـةٍ   مِـنـهُ وأنـتَ لـشُـكْـرِ ذاكَ مُـضِـيـعُ[1]

(٨٥)

إنْ لَمْ يَصْبِرْ

ذكر ياقوت[2] أن رجلاً سأل الإمام الشافعي ماذا يصنع[3] إذا اشتدّ به الوجد، فقال له:

فـإنْ هُـوَ لَـمْ يَـصْـبِـرْ عَـلَـى مـا أَصَـابَـهُ   فَـلَـيْـسَ لَـهُ شَـيءٌ سِـوى الـمَـوْتِ أَنْـفَـعُ[4]

(٨٦)

يُداوِي هَوَاهُ

وقال أيضاً[5]:

يُـداوي هَـواهُ ثُـمَّ يَـكْـتِـمُ وَجْـدَه   ويَـصـبِـرُ فـي كُـلِّ الأُمـورِ ويَـخْـضَـعُ

(٨٧)

أحبّ الصالحين

وقال الإمام الشافعي:

أُحِـبُّ الـصَّـالِـحِـيـنَ ولَـسْـتُ مـنْـهُـم   لَـعَـلِّـي أَنْ أَنـالَ بـهـمْ شـفَـاعَـهْ[6]
وأكـرَهُ مَـنْ تِـجـارتُـهُ الـمَـعـاصـي   ولـوْ كـنَّـا سَـواءً فـي الـبِـضَـاعَـهْ

---

(١) **يقول**: كيف تعصي الله وهو في كل يوم يطلع عليك بنعمة أنت تضيعها ولا تشكرها؟

(٢) **ياقوت الحموي** في معجم الأدباء (٦/ ٣٨٤).

(٣) **ذكر ياقوت** أن رجلاً سأل الشافعي سؤالاً مكتوباً في رقعة قال فيه:

سلِ المفتي المكيّ من آل هاشم   إذا اشتدّ وجدٌ بامرىء كيف يصنع؟

فقال الشافعي (البيت أعلاه).

(٤) **يقول الشافعي**: في الإجابة عمّا تقدم: إذا أنت لم تصبر على ما نابك أو أصابك فليس أنفع لك من الموت.

(٥) **سئل الشافعي أيضاً**، سأله صاحب الرقعة قائلاً:

فكيفَ يُداوي والهوى قاتِلُ الفَتَى   وفي كل يوم غصّة يتجرّع

فأجابه (البيت أعلاه).

(٦) **أراد بالصالحين** الأتقياء الورعين، وتقوى الله هي رأس **سبل** إصلاح النفس.

تـعـمَّـدْنـي بِـنُـصْـحِـكَ فـي انـفِـرادي وجنِّبْني النَّصِيحَةَ في الجَمَاعَهْ[1]
إنَّ الـنُّـصـحَ بَـيْـنَ الـنَّـاسِ نَـوْعٌ مِنَ التَّوبيخِ لا أَرْضَى استِمَاعَهْ[2]
وإن خـالَـفـتَـنـي وعَـصَـيْـتَ قَـوْلـي فـلاَ تـجـزَعْ إذا لَـمْ تُـعْـطَ طَـاعَـهْ[3]

(٨٨)

كَمَا العَليلُ

وقال رضي الله عنه يحدّد دور الورع في صرف صاحبه عن الاشتغال بعيوب النّاس:

الـمَـرْءُ إن كَـانَ عَـاقِـلاً وَرِعـاً أشـغَـلَـهُ عَـنْ عُـيُـوبِ غَـيْـرِهِ وَرَعُـهْ[4]
كـمـا الـعَـلِـيـلُ الـسَّـقِـيـمُ أشـغَـلَـهُ عـن وَجَـعِ الـنَّـاسِ كُـلِّـهِـمِ وجَـعُـهْ[5]

(٨٩)

كَمَا طَارَ وَقَع

وقال الشافعي رضي الله عنه ينهى عن الطمع وعواقبه:

حَـسْـبِـي بِـعِـلْـمِـي إنْ نَـفَـعْ مَـا الـذُّلُّ إلاَّ فِـي الـطَّـمَـعْ
مَـنْ راقَـبَ الله رَجَـعْ مَـا طَـارَ طَـيْـرٌ وَارْتَـفَـعْ[6]
إلاَّ كَمَا طَارَ وَقَعْ

---

(١) **تعمّدني**: من تعمّد الأمر: قصده ـ **جنبني النصيحة من الجماعة**: أي لتكن نصيحتك إياي وأنا منفرد ولست مع الجماعة.

(٢) **التوبيخ**: التأنيب والتبكيت.

(٣) **خالفتني**: عصيتني ولم تطعني ـ **لا تجزع**: لا تخف.

(٤) **الورَع**: التّقى والورِع (بكسر الراء): التّقي الذي يخشى الوقوع في الإثم ومخالفة أوامر الله.

(٥) **العليل والسقيم**: المريض ـ **أشغله**: صرفه.

(٦) **رجع**: أي رجع إلى جادة الصواب واستقام مرتدعاً عن الغيّ والضلال.

(٩٠)

لا تَطْمَعْ

وقال الشافعي[(١)] داعياً إلى القناعة ناهياً عن الطمع:

الـعَـبْـدُ حُـرٌّ إن قَـنِـعْ ... والـحُـرُّ عَـبْـدٌ إنْ طَـمِـعْ
فَـاقْـنَـعْ ولا تَـطْـمَـعْ فـلاَ ... شَـيءٌ يُـشـيـنُ سِـوَى الـطَّـمَـعْ[(٢)]

(١) انظر مقدّمة كتابه الأم.

(٢) يشين: يعيب ويسيء.

قافية الفاء

(٩١)

ذِئابٌ خِرافُ

جاء في «آداب الشافعي» حدّث عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن محمد بن يعقوب عن أبي حاتم عن حرملة أنه سمع الشافعي يقول:

وَدَعِ الّـذِيـنَ إذَا أتَـوكَ تَـنَـسَّـكُـوا   وَإذَا خَـلَـوْا فَـهُـمْ ذِئَـابُ خِـرافِ

(٩٢)

كَيْفَ الوُصولُ

وقال الإمام الشافعي يصف هول الطريق قبل الوصول إلى سعاد ويغلب على شعره هنا الإيماء والرمز:

كَـيْـفَ الْـوُصُـولُ إلَـى سُـعَـادَ وَدُونَـهَـا   قُـلَـلُ الْـجِـبَـالِ وَدُونَـهُـنَّ حُـتُـوفُ(١)

وَالـرِّجْـلُ حَـافِـيَـةٌ وَلاَ لِـيَ مَـرْكَـبٌ   وَالْـكَـفُّ صِـفْـرٌ وَالـطَّـرِيـقُ مَـخُـوفُ(٢)

(٩٣)

وَهْوَ ضَعِيفُ

وقال الإمام الشافعي(٣) رضي الله عنه:

أَكَـلَ الـعُـقَـابُ بِـقُـوَّةٍ جِـيَـفَ الـفَـلاَ   وَجَنَى الذُّبَابُ الشُّهْدَ وَهْوَ ضَعِيفُ(٤)

---

(١) قُلَل: جمع قلّة وهي قمة الجبل وأعلاه، والقلّة أعلى كلّ شيء ـ **الحتوف**: جمع حتف وهو الموت. يقال مات حتف أنفه أي على فراشه لا قتلاً ولا ضرباً.

(٢) **الكفّ صِفر وصَفر**: أي خالية، يقال هو صفر اليد أي لا يملك شيئاً وبيت صفر من المتاع أي خال، لا متاع فيه ـ **الطريق مخوف**: باعث على الخوف.

(٣) **انظر ابن الوردي**: تتمة المختصر في أخبار البشر (١/ ٣٣٣).

(٤) العقاب: طائر من الجوارح ـ **الجيف**: جمع جيفة وهي جثة الميت المنتنة.

(٩٤)

سَلامٌ عَلَى الدُّنْيا

وقال الإمام الشافعي يصف جوهر الصداقة ويكشف أهواء الذين يتصنّعون الإخاء أو يتظاهرون بالمودّة:

إذَا الـمَـرْءُ لاَ يَـرْعَـاكَ إلاَّ تَـكَـلُّـفـا ... فَـدَعْـهُ وَلاَ تُـكْـثِـرْ عَـلَـيْـهِ الـتَّـأسُّـفـا(١)
فَـفِـي الـنَّـاسِ أبْـدَالٌ وَفـي الـتَّـرْكِ رَاحَـةٌ ... وَفي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبيبِ وَلَوْ جَفَا(٢)
فَـمَـا كُـلُّ مَـنْ تَـهْـوَاهُ يَـهْـوَاكَ قَـلْـبُـهُ ... وَلا كُـلُّ مَـنْ صَـافَـيْـتَـه لَـكَ قَـدْ صَـفَـا
إذَا لَـمْ يَـكُـنْ صَـفْـوُ الْـوِدَادِ طَـبِـيـعَـةً ... فَـلاَ خَـيْـرَ فـي وُدٍّ يَـجِـيءُ تَـكَـلّـفَـا(٣)
وَلا خَـيْـرَ فـي خِـلٍّ يَـخُـونُ خَـلِـيـلَـه ... وَيَـلْـقَـاهُ مِـنْ بَـعْـدِ الـمَـوَدَّةِ بِـالْـجَـفَـا(٤)
وَيُـنْـكِـرُ عَـيْـشـاً قَـدْ تَـقَـادَمَ عَـهْـدُهُ ... وَيُـظْـهِـرُ سِـرًّا كـانَ بِـالأَمْـسِ قِـدْ خَـفَـا(٥)
سَـلامٌ عَـلَـى الـدُّنْـيـا إذا لَـمْ يَـكُـنْ بِـهـا ... صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الْوَعْدِ مُنْصِفَا(٦)

(٩٥)

رَحْمَةُ رَبّنا عَلَيْه

وقال الإمام الشافعي يذكر مناقب الإمام أبي حنيفة(٧) مترحّماً عليه:

لَـقَـدْ زَانَ الـبِـلاَدَ وَمَـنْ عَـلَـيْـهَـا ... إمَـامُ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ أبُـو حَـنِـيـفَـه
بِـأحْـكَـامٍ وَآثَـارٍ وَفِـقْـهٍ ... كَـآيَـاتِ الـزَّبُـورِ عَـلَـى الـصَّـحِـيـفَـه(٨)

---

(١) **التكلّف**: من تكلّف الأمر تجشّمه، وتحمّله على مشقّة أو على خلاف عادته ـ **التأسف**: **التحسر والأسف**.
(٢) **جفا الحبيب يجفو**: أعرض ونقيض جفاه آنسه.
(٣) **الوداد**: الحب والمودّة.
(٤) **الخلّ والخليل**: الصاحب.
(٥) **تقادم عهده**: إشارة إلى أنه وطيد لقدمه.
(٦) **سلام على الدنيا إذا...**: ينددد بالدنيا ويزدريها إذا هي خلت من الصديق الصادق والمنصف.
(٧) **أبو حنيفة**: هو صاحب المذهب المعروف باسمه، أي المذهب الحنفي [(٨٠ ـ ١٥٠ هـ) = (٦٩٩ ـ ٧٦٧ م)].
(٨) **الزّبور**: الكتاب وغلب اسم الزّبور على مزامير داود النبيّ.

فَـمـا بـالْـمَـشْـرِقَـيْـنِ لَـهُ نَـظِـيـرٌ وَلا بِـالْـمَـغْـرِبَـيْـنِ وَلا بِـكُـوفَـه[1]
فـرَحْـمَـةُ رَبِّـنَـا أبَـداً عَـلَـيْـهِ مَـدَى الأيَّـامِ مَـا قُـرِئَـتْ صَـحِـيـفَـه

(٩٦)

الضِدّان المُفْترِقان

وقال رضي الله عنه:

فَـإذا سَـمِـعْـتَ بِـأَنَّ مَـجْـدُوداً حَـوَى عُـوداً فَـأَثْـمَـرَ فـي يَـدَيْـهِ فَـصَـدِّقِ[2]
وَإذَا سَـمِـعْـتَ بِـأَنَّ مَـحْـرومـاً أَتَـى مَـاءً لِـيَـشْـرَبَـهُ فَـغَـاضَ فَـحَـقِّـقِ[3]
لَـوْ كـانَ بِـالْـحِـيَـلِ الـغِـنـى لَـوَجـدْتَـنِـي بِـنُـجُـوم أقْـطـارِ الـسَّـمـاءِ تَـعـلُّـقِـي
لـكِـنَّ مَـنْ رُزِقَ الْـحِـجـا حُـرِمَ الـغِـنـى ضِـدَّانِ مُـفْـتَـرِقَـانِ أيَّ تَـفَـرُّقِ[4]
وَأَحَـقُّ خَـلْـقِ اللهِ بِـالْـهَـمِّ امْـرُؤٌ ذُو هِـمَّـةٍ يُـبْـلَـى بِـرِزْقٍ ضَـيِّـقِ[5]
وَمِـنَ الـدَّلـيـلِ عَـلَـى الـقَـضَـاءِ وحُـكْـمِهِ بُؤْسُ اللَّبيبِ وَطيبُ عَيْشِ الأحْمَقِ[6]
إنَّ الـذي رُزِقَ الـيَـسـارَ فَـلَـم يَـنَـلْ أجْـراً وَلاَ حَـمْـداً لْـغـيْـرُ مُـوفَّـقِ[7]
وَالـجَـدُّ يُـدْنـي كُـلَّ أمْـرٍ شَـاسِـعٍ والـجَـدُّ يَـفْـتَـحُ كُـلَّ بَـابٍ مُـغْـلَـقِ[8]

(٩٧)

ألَذّ لي . . .

وقال الإمام الشافعي يصف استمتاعه ولذّته في مواكبة العلم وتنقيح العلوم:

سَـهَـرِي لِـتَـنْـقـيـحِ الـعُـلُـومِ أَلَـذُّ لِـي مِـنْ وَصْـلِ غَـانِـيَـةٍ وَطـيـبِ عِـنَـاقِ[9]

---

(١) **النظير**: المثيل ـ **الكوفة**: من مدن العراق على ساعد الفرات لجهة الغرب. تأسست سنة (٦٣٨ م) أسسها سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية. وتعتبر من مراكز الثقافة العربية.
(٢) **المجدود**: المحظوظ ـ **العود**: الغصن.
(٣) **غاض الماء**: غار وذهب في الأرض، **وغاض أيضاً**: قلّ.
(٤) **الحجا**: العقل والفطنة.
(٥) **أحقّ**: أجدر ـ **يبلى**: يصاب ـ **الرزق الضيق**: القليل.
(٦) **القضاء**: حكم القدر ـ **اللبيب**: العاقل ـ **الأحمق**: الجاهل والغبي.
(٧) **اليسار**: الغنى.
(٨) الجَد (بفتح الجيم): الحظّ ـ **يدني**: يقرّب ـ **الشّاسع**: البعيد.
(٩) **تنقيح العلوم**: تهذيبها ـ **الغانية**: الحسناء التي أغناها حسنها عن الزّينة.

وَصريرُ أَقْلاَمي عَلَى صَفَحاتِها أحْلَى مِنَ الدَّوْكَاءِ وَالعُشَّاقِ[1]
وَأَلَذُّ مِنْ نَقْرِ الفَتَاةِ لِدُفِّها نَقْرِي لأُلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْرَاقي[2]
وَتَمَايُلي طَرِباً لِحَلِّ عَوِيصَةٍ في الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ[3]
وَأَبِيتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبِيتُهُ نَوْماً وَتَبْغِي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي

(٩٨)

لمّا تغرَّبَ. . .

يدعو الإمام الشافعي في هذه الأبيات[٤] إلى الارتحال عن موطن الضيم والذلّ مبيّناً كيف أن الجوهر رخيصٌ في أرضه لكنه يغلو إذا تغرّب:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تِضَامُ بِهَا وَلاَ تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الأَهْلِ في حُرَقِ[5]
فَالْعَنْبَرُ الْخَامُ رَوْثٌ في مَوَاطِنِهِ وَفِي التَّغرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ[6]
وَالكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الأَحْجَارِ تَنْظُرُهُ في أرْضِهِ وَهْوَ مَرْمِيٌّ عَلَى الطُّرُقِ
لَمَّا تَغَرَّبَ حَازَ الفَضْلَ أَجْمَعَهُ فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجفْنِ وَالْحَدَقِ[7]

(٩٩)

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف توكلّه على الله في الرزق غير شاكٍّ بفضل الله مقسّم الأرزاق للعباد.

تَوكّلْتُ في رِزْقي عَلَى اللهِ خَالِقي وَأَيْقَنْتِ أنَّ اللهَ لاَ شَكَّ رَازِقي

(١) **صرير الأقلام**: صوتها على القرطاس ـ **الدّوكاء**: حجر أو أداة لسحق الطيب ـ **العشّاق**: المغرمون.
(٢) **النقر**: صوت يسمع من قرع الإبهام على الوسطى ـ **الرقّ**: من آلات الطّرب.
(٣) **العويصة**: المسألة الصعبة من مسائل العلم أو الفقه والعويص أيضاً من الأقوال ما صعب إدراك معناه.
(٤) **ابن خلّكان**: وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٧).
(٥) **تضام بها**: تظلم بها وتعامل بإذلال وانتقاص ـ **الحرق**: جمع حرقة وهي اللوعة والحسرة.
(٦) العنبر: من الطيوب وفي كتاب الحيوان للجاحظ أن العنبر روث سمك وهو ما أشار إليه الشافعي ومن قائل بأن العنبر مادة دهنية تقذفها عيون قائمة في قاع البحر وإذا طافت جمدت وألقتها الأمواج على الشاطىء.
(٧) **تغرّب**: ترك موطنه ـ **حاز الفضل**: ناله ـ **الحدق**: العين أو وسطها.

وما يَكُ مِنْ رِزْقي فَلَيْسَ يَفوتُني ... وَلَوْ كانَ في قَاعِ البِحَارِ العَوامِقِ[1]
سَيأْتي بِهِ اللهُ العَظيمُ بِفَضْلِهِ ... وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنّي اللسَانُ بِنَاطِقِ[2]
فَفي أيِّ شيءٍ تَذْهَبُ النَفْسُ حَسْرَةً ... وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الخلائِقِ[3]

(١٠٠)

تَبْقى بِلا صَديقِ

ويدعو الشافعي رضي الله عنه إلى تقبّل عثرات الناس حتى لا يبقى أحدنا بلا صديق:

ولا تأخُذْ بِعَثْرةِ كُلِّ قَومٍ ... وَلَكِنْ قُلْ هَلُمَّ إلَى الطَّرِيقِ[4]
فَإنْ تَأخُذْ بِعَثْرَتِهِمْ يَقِلُّوا ... وَتَبْقَى في الزَّمَانِ بِلاَ صَدِيقِ

(١٠١)

عِلْمي مَعِي

يذهب الإمام الشافعي إلى أنّ العلم هو الذي تعيه الصدور، لا الدفاتر أو الكتب في الخزائن والصناديق:

عِلْمي مَعي حَيْثما يَمَّمْتُ ينفَعُني ... قَلْبي وِعَاءٌ لَهُ لا بُطْنُ صُنْدوقِ[5]
إن كُنْتُ في البَيْتِ كَانَ العِلْمُ فيهِ مَعِي ... أو كُنْتُ في السُّوقِ كانَ العِلْمُ في السُّوقِ[6]

---

(١) **يفوتني**: يذهب عني بحيث لا أدركه، **يفوتني أيضاً**: يجاوزني ـ **البحار العوامق**: العميقة **والعوامق** (فواعل): جمع العميق، والبحر العميق **مثل البئر العميقة**: أي الذي بعد قعره.

(٢) **يقول**: إن رزقه سيأتيه بفضل الله العظيم دون سؤال مني.

(٣) **يقول**: لا داعي لتحسّر النفس ما دام الرحمن قد قسّم أرزاق العباد.

(٤) **هلمّ**: كلمة بمعنى الدّعاء إلى الشيء مثل تعالَ وتكون لازمة، ويمكن تعديتها مثل قولهم: **هلمّ** أنصاركم أي أدعوا هؤلاء الأنصار. **وهلمّ** اسم فعل يستعمل بلفظ واحد للجميع ويمكن تصريفه بجعله فعلاً مثل: **هلمّ وهلمّا وهلموا ـ وقوله**: هلم إلى الطريق دعوة إلى طريق العمل.

(٥) **يممّت**: قصدت، ذهبت ـ **يقول**: أن قلبه وعاء علمه فهو يختزن فيه علومه فالعلم الحقيقي في نظر الشافعي ما وعاه قلب الإنسان أي ذهنه وملكاته وليس ما خزنته الدفاتر أو ما أودع في الصناديق أو الخزائن من كتب.

(٦) **يقول**: ما دام العلم مختزناً في قلبه أو عقله فهو حاضر معه أينما كان. والشافعي يسخر هكذا من الذين إذا سألتهم في مسألة أو قضية طلبوا أن تستمهلهم للرجوع إليها في الكتب والدفاتر.

(١٠٢)

رُزِقْتَ عَلَى جَهْلٍ

وقال الإمام الشافعي:

لَوْ كُنْتَ بالعَقْلِ تُعْطَى ما تُريدُ إذَنْ   لما ظَفِرْتَ مِنَ الدّنيَا بمرزُوقِ[١]
رُزِقْتَ مَالاً عَلَى جَهْلٍ فعِشْتَ بِهِ   فَلَسْتَ أوّلَ مَجْنُونٍ ومرزُوقِ

(١٠٣)

كَجنَاحِ طَيْرٍ خافِقِ

وقال أيضاً يصف مشاعر الغريب وحنينه للأهل والوطن.

إنَّ الغَرِيبَ لَهُ مَخَافَةُ سَارِقٍ   وَخُضُوعُ مَدْيونٍ وذِلّةُ مُوثَقِ[٢]
فإذا تَذَكَّرَ أهْلَهُ وبِلادَهُ   فَفُؤادُهُ كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقِ

(١٠٤)

أَضْيَقُ

وقال الإمام الشافعي محذّراً من عواقب إفشاء السرّ:

إذا المرءُ أفشَى سِرَّهُ بِلسَانِهِ   وَلامَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فهْو أَحْمَقُ[٣]
إذا ضَاقَ صَدْرُ المرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ   فصَدْرُ الذي يُسْتودَعُ السرَّ أَضيَقُ[٤]

---

(١) **يقول**: إن الإنسان لا ينال الرزق أو العطاء بالعقل ولكنّ المال يرزقه الإنسان ولو كان جاهلاً، لأنه قسمة القدر وإرادة الخالق.

(٢) إن شعور الغريب هو شعور الخوف كأنه سارق أو مديون أو ذليل.

(٣) **أفشى السرّ**: باح به، أعلنه ولم يكتمه ـ **الأحمق**: الغبي الجاهل.

(٤) **يستكمل معنى البيت الأول** مؤكداً أنّ الذي يفشي سرّك معذور لأنك أنت صاحب السرّ لم تقو على الاحتفاظ به، فكيف لسواك أن يفعل.

(١٠٥)

كُنْ جَحِيماً

وقال الشافعي رضي الله عنه منذّداً بطبائع المكر والملق في النّاس.

لم يَبْقَ في النَّاسِ إلاّ المَكْرُ وَالمَلَقُ ... شَوْكٌ، إذا لمسُوا، زهْرٌ إذا رَمقُوا[١]

فإنْ دَعَتْكَ ضَروراتٌ لِعشْرتِهِمْ ... فَكُنْ جَحيماً لعلَّ الشَّوكَ يَحْتَرِقُ[٢]

(١٠٦)

مِنْ غَيْرِ قَصْدِ

وقال الإمام الشافعي:

رَامَ نَفْعاً فَضَرَّ مِنْ غيْرِ قَصْدِ ... وَمِنَ البِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقا[٣]

---

(١) **المكر**: الخداع ـ **الملق**: التودّد والتذلّل وإبداء الاكرام قولاً لا فعلاً **فالملق** ودّ باللسان لا بالقلب.

(٢) **يدعو الشافعي** من يضطر لمعاشرة المتملّقين أن يكون كالجحيم كي يحرق شوك هؤلاء الخبثاء.

(٣) **رام النفع**: رغب فيه، أراده ـ **العقوق**: الجحود والعصيان ـ **يقول**: رب رجل أراد النفع فسبب الإضرار شأن ذلك شأن البرّ أي الإحسان الذي يكون بالعصيان وعدم الطاعة.

قافية الكاف

(١٠٧)

فَسَادٌ كبيرٌ

ومما قاله[١] الإمام الشافعي رضي الله عنه في تهتك العالم وفساده:

فـسـادٌ كـبـيـرٌ عَـالـمٌ مُـتَـهَـتِّـكُ ... وأكـبـرُ مـنـه جَـاهِـلٌ مـتـنـسِّـكُ[٢]

هـمـا فـتـنـةٌ فـي الـعـالَـمـيـنَ عَـظِـيـمـةٌ ... لـمَـنْ بـهـمـا فـي دِيـنِـهِ يـتـمـسَّـكُ[٣]

(١٠٨)

القناعةُ رَأْسُ الغِنَى

وقال الإمام الشافعي في القناعة:

رَأيْـتُ الـقَـنَـاعَـةَ رَأسَ الـغِـنَـى ... فَـصِـرْتُ بـأَذْيَـالِـهَـا مُـمْـتَـسِـكْ[٤]

لا ذا يَـــرَانـــي عَـــلَـــى بَـــابِـــه ... وَلا ذا يَـرَانـي بـهِ مُـنْـهَـمِـكْ[٥]

فَـــصِـــرْتُ غَـــنِـــيّـــاً بِـــلا دِرْهَـــمٍ ... أَمُـرُّ عَـلَـى الـنَّـاسِ شِـبْـهَ الـمِـلـكْ

---

(١) راجع **المجموعة المباركة** للقلنقولي ص ١٧٦.

(٢) **المتهتك**: الذي يهتك الستر عن عيوبه من الهتك وهو تقطيع الستر وتمزيقه وإزالته من موضعه ومن معاني الهتك الفضيحة.

(٣) **هما**: أي العالم المتهتّك والمتنسك الجاهل ـ **يعتبر الشافعي** كلاً من التهتك والجهل من أسباب الفتنة.

(٤) **ممتسك**: أي متعلّق بشدّة، **وتمسّك «ب» أيضاً**: اعتصم.

(٥) **منهمك**: اسم فاعل من انهمك في العمل أي جدّ فيه ودأب عليه وانشغل..

قافية اللام

(١٠٩)

لا يُدْرِكُ الحِكْمَةَ . . .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه في موضوع الحكمة وكيفية إدراكها:

لا يُـدْرِكُ الـحِـكْـمَـةَ مَـنْ عُـمْـرُهُ   يَـكْـدَحُ فـي مَـصْـلَـحَـةِ الأهْـلِ
ولا يـنـالُ الـعِـلْـمَ إلاّ فَـتًـى   خَـالٍ مِـنَ الأَفْـكَـارِ وَالـشُّـغْـلِ
لَـوْ أنَّ لُـقْـمَـانَ الْـحَـكِـيـمَ الـذي   سَـارَتْ بِـهِ الـرُّكْـبَـانُ بـالـفَـضْـلِ
بُـلـي بِـفَـقْـرٍ وَعِـيَـالٍ لَـمَـا   فَـرَّقَ بَـيْـنَ الـتِّـبْـنِ والـبَـقْـلِ

(١١٠)

مَنْ طَلَبَ العُلَى

وقال الشافعي[١] مشدّداً على الكدّ في سبيل تحصيل العلم:

بـقَـدْرِ الـكَـدِّ تُـكْـتَـسَـبُ الـمَـعَـالـي   ومَـنْ طَـلَـبَ الـعُـلا سَـهِـرَ الـلـيـالِـي[٢]
ومـن رامَ الـعُـلا مـن غَـيْـرِ كَـدٍّ   أضـاعَ الـعُـمْـرَ فـي طـلـبِ الـمُـحـالِ[٣]
تـرومُ الـعِـزَّ ثـم تـنـامُ لـيـلاً   يَـغُـوصُ الـبَـحْـرَ مَـنْ طَـلَـبَ الـلآلـي[٤]

---

(١) **انظر المجموعة المباركة الآنفة الذكر..**

(٢) الكد: التّعب، وبذل الجهد.

(٣) **يقول من طلب العلا** بغير تعب أو عمل أضاع عمله بلا جدوى وكأنه يطلب شيئاً مستحيلاً.

(٤) **يتابع المعنى** السابق ويؤكد أنّ العز لا ينال إلا بالسعي وبذل الجهد فهو كاللآلي تلزم طالبها بأن يغوص في لجج البحار.

(١١١)

حَتَّى أُوَسَّد

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

إذَا نَـحْـنُ فَـضَّـلْـنَـا عَـلِـيّـاً فَـإنَّـنَـا رَوَافِضُ بالتفْضِيلِ عِنْدَ ذوي الجَهْلِ[١]
وفَـضْـلُ أبـي بَـكْـرٍ إذَا مَـا ذَكَـرْتُـهُ رُمِيتُ بنصْبٍ عِندَ ذِكريَ للفَضْلِ[٢]
فـلاَ زِلْـتُ ذَا رَفْـضٍ ونَـصْـبٍ كـلاهُـمـا بـحُـبّـيـهِـمـا حَـتَّـى أُوسَّـدَ فـي الـرَّمْـلِ[٣]

(١١٢)

لَمْ يَعْمَل

وقال الشافعي رضي الله عنه مبيّناً أثر الحظ في رفعة الإنسان.

الـمـرءُ يَـحْـظَـى ثُـمَّ يَـعْـلُـو ذِكْـرُهُ حَـتَّـى يُـزَيَّـنَ بـالّـذي لَـمْ يَـفْـعَـلِ[٤]
وتَـرَى الـغَـنِـيَّ إذَا تَـكَـامَـلَ مَـالُـهُ يُـخْشَـى وَيُـنْـحَـلُ كُـلَّ مَـا لَـمْ يَـعْـمَـلِ[٥]

(١١٣)

أَدّبَني الدّهْرُ

وقال[٦] الإمام الشافعي رضي الله عنه مبيّناً أثر الدهر في تأديب الإنسان وزيادة رصيده من العلم.

كـلّـمـا أدّبَـنِـي الـدَّهْـرُ أرانـي نَـقْـصَ عَـقْـلـي
وإذا مـا ازددتُ عِـلْـمـاً زادانـي عِـلْـمـاً بِـجَـهْـلـي

---

(١) **الرّوافض**: أصلاً هم الذين نادوا بآراء اعتبرها الإمام عليّ بدعة وعاقب أصحابها والفرق الرافضة هي **فرق الغلاة في الإسلام**.

(٢) **رميت بنصب**: إشارة إلى جماعة النّاصبة الذين كانوا ينصبون للإمام علي.

(٣) **أوسّد في الرمل**: أي حتى أموت، وتوسد في الرمل أي ثوى في اللحد بعد الموت.

(٤) **يحظى**: ينال الحظوة وهي المرتبة العالية.

(٥) **يشير إلى تأثير الغنى على صاحبه** وكيف يرفع من مكانته حتى ينسب إليه ما ليس فاعلاً بالحقيقة.

(٦) **انظر وفيات الأعيان** لابن خلكان (٣/ ٣١١).

(١١٤)

وكَذَا . . .

وقال الإمام الشافعي مؤكداً أن الفقيه الفقيه إنما هو بفعله لا بنطقه ومقاله:

إنَّ الـفَـقِـيـهَ هُـوَ الـفَـقِـيـهُ بِـفْـعـلِـهِ ... لَـيْـسَ الـفَـقِـيـهُ بِـنُـطـقِـه وَمَـقَـالِـهِ
وَكَـذَا الـرَّئِـيـسُ هُـوَ الـرَّئِـسُ بـخُـلْـقِـهِ ... لَـيْـسَ الـرَّئِـيـسُ بُـقَـوْمِـهِ وَرِجَـالِـهِ
وَكَـذَا الـغَـنـيُّ هُـوَ الـغَـنـيُّ بِـحَـالِـهِ ... لـيـسَ الـغـنـيُّ بِـمُـلْـكِـهِ وَبِـمَـالِـهِ

(١١٥)

في النّائباتِ قَليلُ

وقال الإمام الشافعي يدعو إلى صون النفس واكتساب ثقة النّاس بالعمل الصالح والتمسّك بالفضائل:

صُنِ النَّفْسَ واحْملْها على ما يَزِينُها ... تَعِشْ سَالِماً والقَوْلُ فِيك جَمِيلُ[١]
ولا تُـولِـيَـنَّ الـنَّـاسَ إلاَّ تَـجَـمُّـلاً ... نَـبـا بِـكَ دَهْـرٌ أو جَـفَـاكَ خَـلـيـلُ[٢]
وإنْ ضَاقَ رِزْقُ اليومِ فاصْبِرْ إلى غَدِ ... عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزولُ[٣]
وَلا خَـيْـرَ فـي ودِّ امـرِىءٍ مُـتَـلـوِّنِ ... إذَا الرِّيحُ مالَتْ، مَالَ حيْثُ تَميلُ[٤]
ومَـا أكـثـرَ الإخْـوانَ حِـيـنَ تَـعُـدُّهُـمْ ... وَلـكِـنَّـهـم فـي الـنَـائِـبَـات قَـلِـيـلُ[٥]

---

(١) **صن النفس**: احفظها ـ **احملها**: الأمر من، **حمله على الأمر**: اجهده وكلّفه القيام به ـ **يزينها**: يجمّلها ـ يدعو الإمام الشافعي إلى صيانة النفس من كل رذيلة وحملها على القيام بما يجعلها جميلة في أعين الناس ويكفل له بذلك الطمأنينة والثناء.

(٢) **التجمّل**: الصبر والجلد ـ **نبا به الدهر**: جافاه وتباعد عنه، **يقال**: نبا به الفراش: لم يطمئن في نومه ـ **جفاك الخليل**: صدّ عنك الصاحب.

(٣) **نكبات الدهر**: مصائبه.

(٤) **المتلوّن**: المتقلّب ـ **يقول**: لا خير في ود امرىء يتلوّن في حبّه أي يخادع ولا يكون صادقاً بل يتقلب في أهوائه كالرّيح ويميل كما تميل.

(٥) **يقول**: الاخوان كثرة في التعداد وفي وقت الطمأنينة وإقبال الإيام لكنهم عند حلول المصائب يصبحون قلّة أي لا يثبت للمرء من خلاّنه في الظروف العصيبة إلا القلّة.

(١١٦)

إنّ الوُقوف ذُلٌّ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

إنَّ الـمـلـوك بَـلاءٌ حَـيْـثُـمـا حَـلُّـوا ... فَـلا يَـكُـنْ لَـكَ فـي أبْـوَابِـهـمْ ظِـلُّ(١)

مَـاذَا تُـؤمِّـلُ مِـنْ قَـوْمٍ إذَا غَـضِـبُـوا ... جَارُوا عَلَيْكَ وَإنْ أرْضيتَهُم مَلُّوا(٢)

فـاسْـتَـغْـنِ بـاللهِ عَـنْ أبْـوَابِـهـمْ كَـرَمـاً ... إنَّ الـوقُـوفَ عَـلَـى أبْـوَابِـهِـم ذُلُّ(٣)

(١١٧)

تَعَلَّمْ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه يدعو إلى طلب العلم مبيّناً فرق ما بين العالم والجاهل:

تَـعـلَّـمْ فَـلـيْـسَ الـمَـرءُ يُـولَـدُ عَـالـمـاً ... وَلَـيْـسَ أخـو عِـلْـم كَـمَـنْ هُـوَ جَـاهِـلُ

وإنَّ كَـبـيـرَ الـقَـوْمِ لاَ عِـلْـمَ عِـنْـدَهُ ... صَغيرٌ إذا الْتَفَّتْ عَليهِ الجَحَافِلُ(٤)

وإنَّ صَـغـيـرَ الـقَـومِ إنْ كـانَ عَـالِـمـاً ... كَـبـيـرٌ إذَا رُدَّتْ إلـيـهِ الـمـحَـافِـلُ(٥)

(١١٨)

أحْدَثُوا بِدَعاً

جاء في «البداية والنّهاية»(٦): قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: أفضل النّاس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ، وقال وأنشد في الشافعي:

لَـمْ يَـفْـتـإِ الـنَّـاسُ حـتَّـى أَحْـدَثُـوا بِـدَعـاً ... في الدِّين بالرَّأْي لَمْ يُبْعَثْ بِها الرُّسُلُ(٧)

---

(١) **البلاء**: المصيبة ـ **حيثما حلّوا**: حيثما نزلوا ـ **فلا يكن لك في أبوابهم ظلّ**: أي لا تقف على أبوابهم.

(٢) **جاروا عليك**: ظلموك ـ **ملّوا**: سئموا ـ **يصف أخلاق الملوك وينعتهم بالظلم والملل ويحذر من صحبتهم.**

(٣) **يدعو الشافعي الإنسان** إلى الاستغناء عن سؤال الملوك، لأن طرق أبوابهم مذلّة.

(٤) **الجحافل**: جمع الجحفل وهو الجيش الكبير.

(٥) **المحافل**: جمع محفل وهو المجلس ومجتمع النّاس ـ **يعظم الإمام دور العلم في عظمة الإنسان**، لأن العلم يرفع الصغير في المحافل والجهل يضع من مكانة الكبير في قومه إذا أحاطت به الجحافل.

(٦) **البداية والنهاية لابن كثير** (١٠/ ٢٥٤)، والربيع المذكور هنا هو الربيع بن سليمان أحد الرواة الذين أخذوا عن الشافعي ورووا كتبه.

(٧) **البدع**: جمع بدعة وهي المحدث الجديد على غير مثال سابق والبدعة كل ما استحدث مما هو مخالف للإيمان.

حَتّى استَخَفَّ بِحَقِّ اللهِ أَكثَرُهُمْ وَفي الّذي حَمَلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغُلُ

(١١٩)

إذا شِئْتُ

جاء في معجم الأدباء[١] أنه جرت بين الشافعي وبعض أصحابه مجانة فقال الإمام:

وأنـزلـنـي طـولُ الـنّـوى دارَ غـربـةٍ إذا شئتُ لاقيْتُ امرءاً لا أشاكِلُه[٢]
أحـامِـقُـه حـتّـى يُـقـالَ سـجـيـةً ولـو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقِلُه[٣]

(١٢٠)

عَزَّ مَنالُها

وقال الإمام يندّد بالحاسد ويصف شدّة حقده:

وَدَارَيْتُ كلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسِدي مُـدَارَاتُـهُ عَـزَّتْ وَعَـزَّ مـنَـالُـهـا[٤]
وَكَيْفَ يُدَارِي المرءُ حاسِدَ نِعْمَةٍ إذَا كَـانَ لاَ يُـرْضِـيـهِ إلاّ زَوَالُـهـا[٥]

(١٢١)

أراهُ طَعَاماً وَبيلا

روي أن الخليفة الرّشيد أمر ببدرة فيها عشرة آلاف درهم للشافعي فأخذها الإمام ثم أعطاها للحاجب وكتب على بدرة المال قوله[٦]:

ذلُّ الـحَـيَـاة وَهَـوْلُ الـمَـمَـاتِ كـلاًّ أراه طَـعَـامـاً وبـيـلا[٧]

---

(١) **معجم الأدباء لياقوت الحموي** (٦/ ٣٨٦).

(٢) **لا أشاكله**: لا أشابهه ولا أماثله.

(٣) **السجية**: الطبيعة والخلق.

(٤) **المداراة**: المجاملة ـ **عزّ منالها**: صعب نيلها.

(٥) زوالها: ذهابها وضياعها.

(٦) **انظر**: خلاصة الذهب المسبوك للأربلي (ص ٢١٢).

(٧) **الطعام الوبيل**: الذي يخاف وباله أي سوء عاقبته.

فـإنْ لـمْ يَـكُـنْ غَـيْـرُ إحـداهُـمـا   فسيرٌ إلى الموت سيراً جميلا[1]

(١٢٢)

لَعَلَّه

قيل[2]: استعار الإمام الشافعي من محمد بن الحسن الكوفي الفقيه تلميذ أبي حنيفة شيئاً من كتبه فلم يسعفه به فكتب إليه الشافعي رضي الله عنه:

قُـل لـلَّـذي لـم تَـرَ عـيـنـا   مَـن رآهُ مـثـلَـه
ومـن كـان مـن رآهُ   قـد رأى مَـن قـبـلَـهُ
لأنّ مـا يـجـنـه   فـاقَ الـكَـمـالَ كُـلّـه[3]
الـعِـلْـمُ يـنـهـي أهـلَـه   أن يـمـنَـعـوه أهـلَـه
لَـعَـلّـهُ يَـبْـذُلُـهُ   لأهـلِـهِ لـعـلَّـه

(١٢٣)

حُبّكُمْ فَرْضٌ

وقال الإمام الشافعي يعبّر عن حبّ آل رسول الله:

يَـا آلَ بَـيْـتِ رَسـولِ الله حُـبُّـكُـمُ   فَـرْضُ مِـنَ الله فـي الـقُـرآنِ أَنْـزَلَـهُ
يَـكْـفِـيكُـمُ مِنْ عَـظِـيمِ الـفَـخْـرِ أَنَّـكُـمُ   مَـنْ لَـمْ يُـصَـلِّ عَـلـيْـكُـمْ لا صَـلاةَ لَـهُ

---

(١) يقول إذا لم يكن بدّ من الذل أو الموت فهول الموت أقلّ وطأة على النفس.

(٢) انظر مروج الذهب للمسعودي ـ (٤/ ١٢٢).

(٣) فاق الكمال كلّه: علاه وتجاوزه بالعقل.

قافية الميم

(١٢٤)

مُهلِكَةُ الأَنام

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه في الثلاثة المهلكة:

ثَــلاَثٌ هُــنَّ مُــهْــلِــكَــةُ الأَنَــامِ ... وداعِـيَـةُ الـصَّـحـيـحِ إلـى الـسَّـقَـامِ[١]

دَوامُ مُــــدَامَــــةٍ ودَوَامُ وطءٍ ... وإدْخَـالُ الـطَّـعَـامِ عَـلَـى الـطَّـعَـامِ[٢]

(١٢٥)

عُفُّوا

وقال الشافعي أيضاً:

عُـفُّـوا تَـعِـفُّ نِـسَـاؤكُـمْ فـي الـمَـحْـرَمِ ... وتَـجـنَّـبـوا مَـا لا يَـلِـيـقُ بِـمُـسْـلِـم

إنَّ الــزنــا دَيْــنٌ فَــإنْ أقْــرَضْــتَــهُ ... كـانَ الزِّنا مِنْ أهْلِ بَيْتِكَ فَاْعْلَمِ[٣]

(١٢٦)

فَاْفْهَمِ

وقال رضي الله عنه:

يَـا هَـاتِـكـاً حُـرَمَ الـرِّجَـالِ وَقَـاطِـعـاً ... سُبُـلَ الـمـوَدّةِ عِـشْـتَ غَـيْـرَ مُـكَـرَّمِ[٤]

---

(١) **الأنام**: الناس ـ **الداعية**: السبب والأمر الذي يدعو ـ **يقول المهلكات ثلاث من شأنها أن تبدل الصحيح إلى البخل.**

(٢) **هذه المهلكات هي**: الإدمان على المدام أي الخمرة، وكثرة الوطء أي المجامعة والنهم الذي يحمل المرء على التخمة وإدخال الطعام على الطعام.

(٣) **الزنى**: الفجور مصدر **زنى يزني زناء**: فجر فهو زان وهي زانية ـ **يقول الإمام الشافعي**: إن الزنى أي الفجور دين فمن أقرضه صار بعض أهل البيت أي سمة من سماته.

(٤) **الهاتك الحرم**: الذي يمزق الستر عنها ـ **سبل المودة**: طرقها ودروبها ووسائلها.

لَـوْ كُـنْـتَ حُـرّاً مِـنْ سُـلالَـهِ مَـاجِـدٍ   مـا كُـنْـتَ هـتَّـاكـاً لِـحُـرْمَـةِ مُـسْـلِـم[1]
مَـــنْ يَـــزْنِ بِـــهِ وَلَـــوْ بِـــجِـــدارِهِ   إنْ كُـنْـتَ يـا هَـذَا لَـبِـيـبـاً فـافْـهَـمِ[2]

(١٢٧)

كفاكَ تعْليمي

قال الأصبهاني في آداب الشافعي[3]: حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا الحسين بن محمد بن غوث الدمشقي قال: سمعت المزني يقول: كلّم للشافعي في بعض ما يراد منه فأنشأ يقول:

وَلَـقَـدْ بَـلَـوْتُـكَ وَابْـتَـلَـيْـتَ خَـلـيـقـتِـي   ولَـقَـدْ كَـفـاكَ مُـعَـلِّـمـي تَـعْـلِـيـمـي[4]

(١٢٨)

صاحِبُهُ كريمٌ

وقال الشافعي يصف فضل العالم ويبيّن أهمية العلم في رفع مكانة الإنسان:

رَأَيْـتُ الـعِـلْـمَ صَـاحِـبُـهُ كَـريـمٌ   ولَـــوْ وَلَـــدَتْـــهُ آبَـــاءٌ لِـــئَـــامُ
وَلَـيْـسَ يَـزَالُ يَـرْفَـعُـهُ إلـى أنْ   يُـعَـظَّـمَ أمـرَهُ الـقَـوْمُ الـكِـرامُ
وَيَـتَّـبِـعُـونَـهُ فـي كُـلِّ حَـالٍ   كَـراعِـي الـضَـأْنِ تَـتْـبَـعُـهُ الـسَّـوَامُ[5]
فَـلـولاَ الـعِـلْـمُ مَـا سَـعِـدتْ رِجَـالٌ   وَلاَ عُـرِفَ الـحَـلاَلُ وَلاَ الـحَـرَامُ[6]

(١) **هتاكاً** (وزن فعّالاً للمبالغة): أي كثير الهلك.

(٢) **لبيباً**: عاقلاً وفطناً.

(٣) **الأصبهاني**: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٤٩)، **أيضاً**: آداب الشافعي للعلاّمة الرازي ص ٢٧٣.

(٤) **بلوتك**: اختبرتك ـ **الخليقة**: الطبيعة.

(٥) **الضأن**: الغنم ـ **السّوام**: السائمة أي الماشية التي تسوم أي ترعى، **والسّوام**: المال الراعي كما تقول العرب من إبل وأغنام ونحوها.

(٦) **يبين فضل العلم** في توعية النفوس ويقول لولاه ما ميّز المرء بين الحلال والحرام.

(١٢٩)

فَقَدْ عَادَاكَ

جاء في كتاب «اللطائف والظرائف»[١] قول الإمام الشافعي:

صـديـقُـك مَـن يُـعـادي مَـن تُـعـادي ... بِـطُـولِ الـدَّهْـرِ ما سَـجَـعَ الـحـمَـامُ[٢]
ويُـوفـي الـدَّيـنَ عَـنْـكَ بـغَـيْـر مَـطْـلٍ ... ولا يَـمُـنُّ بـه أبَـداً دَوامُ[٣]
فـإن صَـافـى صـديـقُـك مـن تُـعَـادي ... ويـفـرحُ حيـنَ تـرْشُـقُـكَ الـسَّـهَـامُ[٤]
فـذاك هُـو الـعَـدُوُّ بـغَـيْـر شَـكٍّ ... تـجـنَّـبْـهُ فـصُـحْـبَـتُـهُ حَـرَامُ
فـإنّـا قَـدْ سَـمِـعْـنـا بَـيْـتَ شِـعْـرٍ ... شـبـيـهَ الـدُرِّ زيَّـنَـهُ الـنِـظَـامُ
إذا وافـى صَـديـقُـك مَـنْ تُـعـادي ... فَـقَـدْ عـادَاكَ وانـفَـصَـلَ الـكَـلامُ

(١٣٠)

بِهِمْ غَفْلَةٌ

جاء في «الفهرست»[٥]: حدّث أبو الحسن الصابونجي المصري قال: رأيت قبر أبي عبد الله الشافعي بمصر بين بيطار بلال وبين البركتين وعند رأسه لوح مكتوب عليه:

قَـضَـيْـتُ نَـحْـبـي فـسُـرَّ قَـوْمٌ ... حَـمْـقَـى بِـهِـم غَـفْـلَـةٌ ونَـومُ[٦]
كـأنّ يَـوْمـي عَـلـيَّ حَـتْـمٌ ... وَلَـيْـسَ لـلـشَـامِـتِـيـنَ يَـوْمُ[٧]

---

(١) **انظر اللطائف والظّرائف** للثعالبي (ص ١٤٨).

(٢) **سجع الحمام**: تطريبه في صوته، والسجع أيضاً صوت الحمام على وتيرة واحدة.

(٣) **يوفي الدّين عنك**: يسدّده ـ **المطل**: المماطلة ـ **لا يمنن**: لا يحمّلك المنة.

(٤) **ترشقك السهام**: ترميك.

(٥) **الفهرست**: لابن النّديم.

(٦) **قضى نحبه**: مات ـ **الحمقى**: الأغبياء.

(٧) الأمر الحتم: المحتوم، الذي لا مفر منه.

(١٣١)

إنَّ اللهَ أَعْلَمُ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

أَجُـودُ بِـمـوجُـودٍ وَلَـوْ بِـتُّ طَـاوِيـاً ... عَلَى الجُوعِ كَشْحاً وَالحَشَا يَتَأَلَّمُ(١)
وَأُظْهِرُ أَسْبَابَ الغِنَى بَيْنَ رِفْقَتي ... لِيَخفَاهُمُ حَالي وإنِّي لمُعْدِمُ(٢)
وبَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ أَشْكُو فَاقَتي ... حَقيقاً فَإنَّ اللهَ بالحَالِ أَعلَمُ(٣)

(١٣٢)

أَسْتَمْطِرُ الجودُ

وقال رضي الله عنه:

بِمَوْقِفِ ذُلّي دُونَ عِزَّتِكَ العُظْمى ... بِمخفيِّ سِرٍّ لاَ أُحِيطُ بِهِ عِلْمَا
بإطرَاقِ رَأْسي، باعْتِرافي بِذِلّتي ... بمدِّ يَدي، أَستَمْطِرُ الجُودَ والرُّحْمَى(٤)
بأَسْمَائِكَ الحُسْنى التي بَعْضُ وصْفِها ... لِعَزَّتِها يَسْتَغْرِقُ النَّثْرَ وَالنَّظْمَا(٥)
بِعَهْدٍ قَدِيمٍ مِن أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟» ... بِمَنْ كَانَ مَكْنوناً فَعُرِّف بالأَسْمَا(٦)
أذِقْنَا شَرَابَ الأُنْسِ يا مَنْ إذا سَقَى ... مُحِبًّا شَرَاباً لا يُضَامُ ولاَ يَظْمَا(٧)

---

(١) **طاوياً**: جائعاً ـ **الكشح**: من السرّة إلى المتن أي ما بين الخاصرة والضلوع الخلفية ـ **يقال**: فلان طوى كشحاً على حقد: أي اضغن واضمر الحقد.

(٢) **أسباب**: دواعي ـ **معدم**: معوز، لا أملك شيئاً.

(٣) **الفاقة**: العوز.

(٤) **استمطر الله الجود**: سأله إياه، **والجود**: العطاء والكرم ـ **الرُّحْمى**: رقة القلب والانعطاف الذي يقتضي المغفرة والإحسان.

(٥) **يقول**: إن وصف أسماء الله الحسنى وما فيها من العزّة ليعجز بلاغة الناثرين والناظمين.

(٦) **إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وإذا أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم؟ قالوا بلى. . .﴾**[الأعراف: ١٧٢].

(٧) **لا يضام**: لا يصيبه ضيم، والضيم الذلّ والهوان ـ **يظما**: مخفف: يظمأ أي يعطش.

(١٣٣)

كان عفْوُكَ أَعْظَمَا

حدّث المزني وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في الدنيا راحلاً، وللاخوان مفارقاً، ولكأس المنيّة شارباً، وعلى الله جلّ ذكره وارداً ولا والله ما أدرى روحي تصير إلى الجنة أم إلى النار؟ ثم بكى وأنشأ يقول[١]:

إِلَـيْـكَ إِلـهَ الـخَـلْـقِ أَرْفَـعُ رَغْـبَـتـي ... وإِنْ كُنْتُ يا ذا المَنِّ والجُودِ مُجْرِمَا

وَلـما قَـسَـا قَـلْـبي وَضَـاقَـتْ مَـذَاهِـبي ... جَعَلْتُ الرَّجا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلّمَا[٢]

تَـعَـاظَـمَـني ذَنْـبـي فَـلَـمَّـا قَـرنْـتُـه ... بِعَفْوِكَ رَبّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمـا[٣]

فمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَـجُـودُ وَتَـعْـفُـو مِـنَّـةً وَتـكَـرُّمَـا[٤]

فَلَـولاكَ لَـمْ يَـصْـمُـدْ لإِبْـلِـيسَ عَـابِـدٌ ... فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمَا[٥]

فيالَـيْـتَ شِـعْـري هَـلْ أَصِـيـرُ لـجـنَـةٍ ... أَهْـنـا وأَمّـا لـلـسَّـعِـيـرِ فـأَنْـدَمَـا[٦]

فَـلِـلَّـهِ دَرُّ الْـعَـارِفِ الـنَّـدْبِ إِنَّـهُ ... تـفـيضُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أجفانُهُ دَمَا[٧]

يُـقـيـمُ إِذَا مَـا الـلَّـيْـلُ مَـدَّ ظَـلامَـهُ ... عَلَى نَفْسِهِ مِن شِدَّةِ الْخَوْفِ مَأْتمَا

فَـصِـيـحـاً إِذَا مَـا كَـانَ فـي ذِكْـرِ رَبِّـهِ ... وَفِي مَا سِواهُ في الْوَرَى كَانَ أَعْجَمَا[٨]

وَيَـذْكُـرُ أيـامـاً مَـضَـتْ مِـنْ شَـبَـابِـهِ ... وَمَـا كَـانَ فِـيـهَـا بِـالـجَـهَـالَـةِ أَجْـرَمَـا

---

(١) **ياقوت الحموي**: **معجم الأدباء** (٦/ ٣٨٢)، انظر أيضاً طبقات الشافعية (ص ١٤).

(٢) **ضاقت مذاهبي**: ضاقت سبل خلاصي ـ **يقول**: إنه ضاقت عليه السبل فجعل رجاءه سلّماً إلى الله طلباً للرحمة.

(٣) **قرنته**: جعلته يقترن أي جعلته في موازاة عفو الله.

(٤) **يقول**: **إن المرء يدأب على الذّنب والله يعفو بفضل منّته وكرمه.**

(٥) **يصمد**: يثبت ـ ابليس: رمز للشيطان الذي يوسوس للإنسان ـ **الصفيّ**: **الذي اصطفاه الله** أي اختاره من بين الملائكة.

(٦) **السعير**: النّار، جهنم.

(٧) **الوجد**: شدة الحب والحنين واللهفة.

(٨) **فصيحاً**: قادراً على البيان ـ **الورى**: الخلق ـ **أعجم**: غير فصيح.

فَـصَـارَ قَـرِيـنَ الـهَـمِّ طُـولَ نَـهَـارِهِ ... أخَا السُّهْدِ وَالنَّجْوَى إذَا اللَّيلُ أظلمَا[1]
يَقُـولُ حَبيبـي أنْتَ سُؤْلـي وبُغْيَتـي ... كَفَـى بِكَ للرَّاجِينَ سُؤْلاً وَمَغْنَمَا[2]
ألَـسْـتَ الَّـذِي غَـذَّيْتَنـي وهَـدَيْتَنـي ... وَلا زِلْـتَ مَـنَّـانـاً عَـلَـيَّ وَمُـنْـعِـمـا[3]
عَسَـى مَنْ لَـهُ الإحْسَانُ يَغفِرُ زَلَّتـي ... وَيَسْـتُـرُ أوْزَارِي وَمَـا قَـدْ تَـقَـدَّمـا[4]
تعـاظَـمنـي ذَنْبي فأَقْبَلْـتُ خَاشِعـاً ... ولـولا الـرِّضـا ما كُنتَ يا ربِّ مُنْعِما
فـإن تَـعْـفُ عَنّي تَعْـفُ عـن مُتَمَـرِّدٍ ... ظَـلُـوم غَـشُـوم لا يـزايـلُ مـأثَـمـا[5]
وإن تَـنْـتَـقِـمْ مـنّـي فَـلَـسْـتُ بـآيِـسٍ ... ولَـوْ أدْخَـلـوا نَـفْـسي بـجرم جَـهَـنَّـما
فـجُـرْمـي عَـظـيـمٌ من قَـدِيـمٍ وحـادِثٍ ... وعَـفـوُك يـأتـي الـعَـبْـدَ أعْـلَـى وأَجْـسَـما
حَـوالـيَّ فَـضْـلُ الله مـن كـلِّ جـانـبٍ ... ونـورٌ مـنَ الـرَّحْـمـنِ يـفـتـرِشُ الـسَّـمَـا
وفـي الـقَـلْـبِ إشْراقُ الـمحِـبِّ بـوَصْـلِـهِ ... إذا قارَبَ البُشرى وجازَ إلى الحِمَى[6]
حـوالـيَّ إيـنـاسُ مِـنَ الله وحْـدَهُ ... يـطـالِـعُـني في ظُـلْـمَـةِ الـقَـبْـر أنـجُـما
أَصُـونُ وِدادي أنْ يـدَنِّـسَـهُ الـهـوى ... وأحـفـظُ عَـهْـدَ الـحـبِّ أن يَـتَـثـلّـمـا[7]
ففـي يَقْظَتـي شَوْقٌ وفـي غَفْوتـي مُنَى ... تَـلاحـقَ خَـطْـوي نـشـوةً وتَـرَنُّـمـا
ومـن يـعْـتَـصِـمْ بـالله يَـسْـلَـمْ مـن الـوَرَى ... ومـن يَـرْجُـه هَـيْـهَـاتَ أن يـتَـنَـدَّمَـا[8]

(١٣٤)

واجِبٌ صَوْنُهُ

وقال الشافعي رضي الله عنه في العلم وضرورة صونه:

الـعِـلْـمُ مِـنْ فَـضْـلِـهِ، لِـمـنْ خَـدَمَـهْ ... أنْ يَـجْـعَـلَ الـنَّـاسَ كُـلَّـهُـمْ خَـدَمَـهْ

---

(١) **القرين**: **المثيل، النظير** ـ **السّهد**: الأرق.
(٢) **البغية**: المبتغى، الطلب ـ **المغنم**: الغنيمة.
(٣) **منّاناً ومنعماً**: متفضّلاً.
(٤) **الزلّة**: السقطة ـ **الأوزار**: جمع وِزر وهو العبء الثقيل.
(٥) **ظلوم وغشوم**: ظالم ـ **المأثم**: الإثم.
(٦) **جاز إلى**: اجتاز.
(٧) **أصون ودادي**: أحفظه، **والودّ**: المحبّة ـ **يدنّسه**: يجعله دنساً أي قذراً غير طاهر ـ **يتثلّم**: يتصدّع.
(٨) **يعتصم بالله**: يلوذ به، يتمسك بحبال رحمته ـ **هيهات**: اسم فعل ماض بمعنى بعد ـ **يقول** من اعتصم بالله حفظ نفسه من شرور النّاس ولا يندم أبداً.

فَـوَاجِـبٌ صَـوْنُـهُ عَـلَـيْـهِ كَـمَـا يَـصُـونُ فـي الـنَّـاسِ عِـرْضَـهُ وَدَمَـهْ[1]
فَـمَـنْ حَـوَى الـعِـلْـمَ ثُـمَّ أَوْدَعَـهُ بِـجَـهْـلِـهِ غَـيْـرَ أَهْـلِـهِ ظَـلَـمَـهْ[2]

(١٣٥)

لَسْتُ مُضيعاً

جاء في معجم الأدباء[3]: أخبر عثمان بن محمد العثماني وحدّث عنه أبو محمد بن حيان قال: حدّثنا أبو علي النيسابوري ـ ببغداد ـ حدثني بعض أصحابنا أن محمد بن إدريس الشافعي لما دخل مصر أتاه جلّة أصحاب مالك وأقبلوا عليه فابتدأ يخالف أصحابه ثم أنشد قائلاً:

أَأَنْـثُـرُ درًّا بَـيْـنَ سَـارِحَـةِ الـبَـهـمِ وأَنْـظِـمُ مَـنْـثـوراً لِـراعـيَـة الـغَـنَـمْ[4]
لَـعَـمْـري لـئِـنْ ضُـيِّـعتُ فـي شَـرِّ بَـلْـدَةٍ فَلَسْتُ مُضِيعاً فيهِمُ غررَ الكَلِمْ[5]
لَـئِـنْ سَـهَّـلَ الله الـعَـزيـزُ بِـلُـطْـفِـهِ وَصَادَفْتُ أهلاً للعُلوم ولِلحِكَمْ[6]
بَـثَـثْـتُ مُـفـيـداً واسـتَـفَـدْتُ ودَادَهُـمْ وَإلاَّ فَـمَـكْـنُـونٌ لَـديَّ ومُـكْـتَـتَـمْ[7]
ومَـنْ مَـنَـحَ الـجـهَّـالَ عِـلْـمـاً أَضَـاعَـهُ ومَنْ مَنَعَ المستوجِبين فقَدْ ظَلَمْ[8]

---

(١) **الصون**: **الحفظ ـ العرض**: الشرف والمروءة.

(٢) **أودع الشيء**: جعله وديعة، ومتعه.

(٣) **معجم الأدباء لياقوت الحموي** (٦/ ٣٨٥ و ٣٨٦) أيضاً الأصبهاني: (حلية الأولياء (٩/ ٥٣).

(٤) **سارحة البهم**: السائمة، وأراد بالدرّ درر العلم، وبنثر المنظوم الشعر.

(٥) **غرر الكِلم**: مأثور الكلام، الحكم الرفيعة.

(٦) **صادفت**: لقيت صدفة.

(٧) **بثثت**: من بثّ يبث بثاً الكلام: نشرت وأذعت ـ **الوداد**: المحبة ـ **مكنون**: محفوظ ومستور.

(٨) **المستوجبين**: الجديرين الذين يستحقون التعلّم.

قافية النّون

(١٣٦)

صُنْتُ نَفْسي

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف قناعته وصون نفسه عن الهوان:

قَـنِـعْـتُ بـالـقُـوتِ مِـنْ زَمَـانـي ... وَصُـنْـتُ نَـفْـسـي عَـنِ الـهَـوانِ[1]
خَـوفـاً مِـنَ الـنَّـاسِ أنْ يَـقـولُـوا ... فَـضْـلُ فُـلانٍ عَـلَـى فُـلاَنِ
مَـنْ كُـنْـتُ عَـنْ مَـالِـهِ غَـنِـيّـاً ... فَـلا أُبـالـي إذَا جَـفَـانـي
وَمَـنْ رَآنـي بـعـيـن نَـقْـصٍ ... رَأَيْـتُـهُ بـالّـتـي رَآنـي
وَمَـنْ رَآنـي بـعَـيْـنِ تَـمٍّ ... رَأَيْـتُـهُ كـامِـلَ الـمـعَـانـي[2]

(١٣٧)

لَمْ تُغْنِ

قال الشافعي رضي الله عنه في صديق له تولّى إمرة بعض النواحي فتغيّرت عاداته عمّا كانت عليه فكتب إليه الإمام يقول[3]:

إذْهَـبْ فَـوُدُّكَ مِـنْ فُـؤادِي طـالِـقٌ ... أبَـداً ولـيْـسَ طَـلاقَ ذاتِ الـبَـيْـنِ[4]

---

(١) **القوت**: ما يقتات به المرء من طعام أو غذاء ليقيم أوده ـ **صنت نفسي عن الهوان**: حفظتها من الذلّ.

(٢) **يقول من رآني بعين الكمال** أدركت ما فيه من جوهر المعاني وكمالها.

(٣) أي الإمام الشافعي.

(٤) **طالق**: المتروك المبعد ـ **طلاق ذات البين**: الطلاق الذي لا رجعة فيه، أي الطلاق بالثلاث.

فـإنِ ارْعَـوْيـتَ فـإنَّـهـا تَـطْـلِـيـقَـةٌ ... ويَـدُومُ ودُّكَ لـي عَـلَـى ثِـنْـتَـيـنِ[1]
وإنِ امـتـنـعـتَ شَـفَـعْـتُـهـا بـمِـثـالِـهـا ... فَتَكُـونُ تَطْليقَيْـن في حَيْضَيْـنِ[2]
وإذا الـثَّـلاثُ أتـتْـكَ مـنّـي بَـتَّـةً ... لـم تُغْـنِ عـنْـك ولاَيَـةُ «السِّـيبَيْـنِ»[3]

(١٣٨)

سُنَّةُ الدّين

جاء في معجم الأدباء[4]: قال الإمام الشافعي في التعزية:

إنِّـي أُعَـزِّيـكَ لا أنِّـي عَـلَـى طـمَـعٍ ... مِنَ الـخُـلـودِ، وَلَـكِـنْ سُـنَّـةُ الـدِّيـنِ[5]
فـمـا الـمَـعَـزِّي بِـبَـاقٍ بَـعْـدَ صَـاحِـبِـهِ ... ولا الـمُـعَـزَّى وَإنْ عَـاشـا إلـى حِـيـنِ[6]

(١٣٩)

هَذَا بَذَاكَ

وقال رضي الله عنه:

تَـحكَّـمُـوا فَـاستَـطَـالُـوا في تَـحكُّـمِـهِـم ... وَعَـمَّـا قَـلـيـلٍ كَـأنَّ الأمْـرَ لَـمْ يَـكُـنِ[7]
لَـوْ أَنْـصَـفُـوا، أُنْـصِـفُـوا لكِنْ بغَـوْا فَـبَـغى ... عَـلَـيْـهِـمُ الـدَّهْـرُ بِـالأَحْـزَانِ والـمِـحَـنِ[8]
فَـأصْـبَـحُـوا وَلِـسَـانُ الـحـالِ يُـنْـشِـدُهُـمْ ... هـذَا بِـذَاكَ وَلاَ عَـتـبٌ عَـلَـى الـزَمَـنِ

---

(١) **ارعويت**: من ارعوى ارتدع واهتدى ـ **ثنتين**: اثنتين.
(٢) **شفعتها**: قرنتها ـ **الحيضين**: مثنى الحيض وفي هذا تؤخذ أحكام الطلاق فالأمة إذا طلقت اعتدّت شهرين وخمساً أو طهرين أو حيضين، والحيض خروج دم من المرأة في وقت مخصوص على وجه مخصوص فهي حائض وحائضة.
(٣) **الثلاث**: أي الطلاق ثلاثاً ـ **بتة**: أي بصورة باتة ـ **لم تغن عنك**: لم تجدك ولم تنفعك ـ **السيبين**: اسم بلد.
(٤) **انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣٠٨/٧) انظر أيضاً**: الشريشي: شرح المقامات.
(٥) **بسنة الدّين**: سنة التعزية للمجاملة وغرضها حمل المفجوع بعزيز على الصبر لحمله على الصبر والسلوان.
(٦) **المعزِّي**(بالكسر): الذي يقدم التعزية ـ **المعزَّى** (بالفتح): المفجوع الذي نقدم إليه عزاءنا ـ **الحِيَن**: أي الحِين.
(٧) .. **لم يكن**: أي كأن الأمر بعد الزوال لم يكن موجوداً كناية عن أن الموت يمحو كل أثر.
(٨) **بغو**: ظلموا ـ **المحن**: جمع محنة المصائب.

(١٤٠)

إلاّ بِسِتَّةٍ

قال الإمام الشافعي[(١)] محدّداً الشروط الأساسية لتحصيل العلم:

أخي لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إلاَّ بِسِتَّةٍ   سأُنبيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ[(٢)]

ذَكَاءٌ، وَحِرْصٌ، واْجتِهَادٌ، وَبُلْغَةٌ   وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ، وَطُولُ زَمَانِ[(٣)]

(١٤١)

وسْواسُ الشّياطينِ

وقال الإمام الشافعي[(٤)] رضي الله عنه، بعد حديثه: «إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنّما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جزاهم الله خيراً حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل»:

كلُّ العُلومِ سِوى القُرْآنِ مَشْغَلَةٌ   إلاّ الحَديثُ وعِلْمُ الفِقْهِ في الدّينِ[(٥)]

العِلْمُ ما كانَ فيه قَالَ حَدَّثنا   وما سِوى ذاكَ وَسْواسُ الشَّياطِينِ[(٦)]

(١٤٢)

لَسْتَ بواجِدِ

قال الأصبهاني: حدّثنا محمد بن عبد الرحمن، قال: سمعت محمد بن بشير الآبري يقول: سمعت الربيع يقول: كنت عند الشافعي فجاء رجل فكلّمه بكلام فأنشأ الشافعي يقول[(٧)]:

جنونكَ مَجْنونٌ ولسْتَ بِواجِدٍ   طَبِيباً يُدَاوي مِنْ جُنونِ جُنونِ

---

(١) **انظر المجموعة المباركة.**

(٢) أنبيك: أنبئك، أخبرك ـ **البيان**: الوضوح.

(٣) **يعدد الشروط الستة** وهي حاجة المتعلم إلى العقل الذكي والحرص على التعلم، والدأب في الاجتهاد وبلغة العيش واصطحاب أستاذ يستفاد منه العلم والحاجة إلى زمن طويل.

(٤) **ابن كثير**: البداية والنهاية (١٠/ ٢٥٤).

(٥) **المشغلة**: كل ما يشغل المرء عمّا هو أوجب فيضيع فرصة الانتفاع به.

(٦) **وسواس الشياطين**: صوتهم الخفيّ من قوله تعالى: ﴿**فوسوس لهما الشيطان**﴾ [سورة الأعراف: ١٩].

(٧) **انظر الأصبهاني**: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٤٧).

(١٤٣)

يسوني

وقال رضي الله عنه:

سَـأصْـبِـرُ لـلـحِـمـامِ وَقَـدْ أتـانـي ... وإلاّ فَـهْـوَ آتٍ بَـعْـدَ حِـيـنِ(١)
وإنْ أَسْـلَـمْ يَـمُـتْ قـبـلـي حَـبـبـتُ ... ومـوتُ أحـبَّـتـي قَـبْـلـي يـسـونـي(٢)

(١٤٤)

الصَّمْتُ أَجْمَلُ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

لا خَـيْـرَ فـي حَـشْـوِ الـكَـلا ... مِ إذا اهْـتَـدَيْـتَ إلـى عُـيـونِـه(٣)
والـصَّـمْـتُ أجْـمَـلُ بِـالـفَـتـى ... مـن مَـنْـطِـقٍ فـي غَـيْـرِ حِـيـنِـه
وعـلـى الـفَـتَـى لِـطِـبـاعِـهِ ... سِـمَـةٌ تـلـوحُ عـلـى جـبـيـنِـه(٤)

(١٤٥)

لُقْمَةٌ تَكْفِيني

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

رأيْـتُـكَ تَـكْـوِيـنـي بـمَـيْـسَـمِ مِـنَّـةٍ ... كأنَّكَ كُنْتَ الأَصْلَ في يَوْمِ تَكْوِيني(٥)
فـدَعْـنـي مِـنَ الـمنِّ الـوَخِـيـمِ فَـلُـقْـمَـةٌ ... مِنَ العَيْشِ تَكْفيني إلى يَوْمِ تَكْفِيني(٦)

---

(١) **الحمام**: الموت ـ **بعد حين**: بعد زمن.

(٢) **يسوني**: مخفّف يسوءني أي يؤذيني ويؤلمني.

(٣) **حشو الكلام**: الرديء، التّافه الخالي من البيان والبلاغة ـ **عيون الكلام**: أفضله وأشرفه.

(٤) **السمة**: العلامة ـ **تلوح**: تظهر.

(٥) **الميسم**: أداة الوسم أي الكيّ مثل المكواة وهي أصلاً لوسم السائمة أو المواشي لتحديد الجهة التي تمتلكها.

(٦) **الوخيم**: السيء العاقبة.

(١٤٦)

كَحَلْتُ بِهِ أجفاني

قيل: ذكر الشافعي بلدة غزة مولده فقال[(١)]:

وإنـي لَـمُـشْـتَـاقٌ إلـى أَرْضِ غَـزَّةَ   وإنْ خانَـني بَعْدَ التفرُّق كِتْمـاني[(٢)]
سَقَـى الله أَرْضـاً لـو ظَفِرْتُ بِتُرْبِـهـا   كَحَلتُ بهِ مِنْ شِدّةِ الشَّوْقِ أَجُفـانـي

(١٤٧)

كُلُّكَ سَوْءاتٌ

وقال الإمام الشافعي ينصح بحفظ اللسان عن ذكر سوءات الأنام:

إذَا رُمْتَ أنْ تحيَا سَلِيماً مِنَ الرَّدَى   وَدِينُـكَ مَـوفُـورٌ وَعِـرْضُـكَ صَـيِّـنُ[(٣)]
فَلاَ يَنْطِقَنْ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسوأَةٍ   فَكُـلُّـكَ سَـوْءاتٌ وَلِـلنَّـاسِ أَلْسُـنُ[(٤)]
وعَـيـنـاكَ إنْ أبْـدَتْ إلَـيْـكَ مَـعَـائِـبـاً   فدَعْها وقُلْ يا عيْنُ للنّاسِ أعْيُنُ[(٥)]
وعَاشِرْ بمَعْرُوفٍ، وَسَامِحْ مَنِ اعْتَدَى   وَدَافِعْ وَلَـكِـنْ بـالـتي هِـيَ أَحْـسَـنُ[(٦)]

(١٤٨)

سَهِرَتْ ونامَتْ

وقال الشافعي أيضاً:

سَـهِـرَتْ أعْـيـنٌ، ونـامَـتْ عُـيـونُ   فـي أُمُـورٍ تَـكُـونُ أوْ لاَ تَـكُـونُ

---

(١) **انظر ياقوت الحموي**: معجم البلدان (٣/ ٢٠٢).

(٢) **غزّة**: مدينة في جنوبي فلسطين على شاطىء المتوسط ـ **الكتمان**: عدم البوح.

(٣) **الردّى**: الموت ـ **موفور**: محفوظ ـ **عرضك صين**: منيع.

(٤) **السوأة**: العورة ـ **يقول**: لا تتناول سوءات الآخرين لأنك بدورك ذو عورات وللناس ألسن يتناولونك بها كما تتناولهم.

(٥) **المعائب**: العيوب.

(٦) **يدعو الشافعي إلى حسن المعاشرة** والتسامح والدفاع عن النفس بأنجع السبل وأحسنها.

فـادْرَإِ الـهَـمَّ مـا اسْـتَـطَـعْـتَ عـن الـنَّـفْـ سِ فـحِـمْـلانُـكَ الـهُـمُـومَ جُـنُـونُ[1]
إنَّ ربَّـــا كَـــفَـــاكَ بـــالأَمْـــسِ مـــا كَـــا نَ سَـيَـكْـفـيـكَ فـي غَـدٍ مـا يَـكـونُ

(١٤٩)

أَرَحْتُ نَفْسي

ومن شعر الإمام الشافعي قوله في تهذيب نفسه من المطامع

أمَـتُّ مَـطـامِـعـي فَـأَرحْـتُ نَـفْـسـي فَـإنَّ الـنَّـفْـسَ مـا طَـمِـعَـتْ تَـهُـونُ[2]
وأحْـيَـيْـتُ الـقُـنُـوعَ وكَـانَ مَـيْـتـاً فـفِـي إحْـيَـائِـهِ عِـرْضٌ مَـصُـونُ[3]
إذا طَـمَـعٌ يَـحِـلُ بِـقَـلْـبِ عَـبْـدٍ عَـلَـتْـه مَـهَـانَـةٌ وعَـلاهُ هُـونُ[4]

(١٥٠)

إحْفَظْ لسانَكَ

وقال الشافعي رضي الله عنه في صون اللسان وكيف يكون إذا لم يحفظ خطراً على الإنسان:

إحْـفَـظْ لِـسَـانَـكَ أَيُّـهـا الإنْـسَـانُ لاَ يَـلْـدغَـنَّـكَ إنَّـهُ ثُـعْـبَـانُ[5]
كَـمْ فـي الـمَـقَـابِـرِ مِـنْ قَـتِـيـلِ لِـسَـانِـهِ كَـانَـتْ تَـهَـابُ لِـقَـاءَهُ الأقْـرَانُ[6]

---

(١) **ادرأ الهم**: ادفعه وأدافعه ـ **حملانك**: حملُك ـ **يقول**: لا تثقل على نفسك الهموم بل ادفعها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

(٢) **يقول إنه بدّد مطامعه** فأراح بذلك نفسه مؤكداً أن المطامع تؤدي إلى إذلال النفس.

(٣) **القنوع**: القناعة ـ **يقول** إنه أمات الطمع فأحيى في نفسه القناعة وبالقناعة يصون المرء عرضه ويحفظه من كل سوء.

(٤) **المهانة**: الازدراء.

(٥) يشبه اللسان بالثعبان وأن المرء إذا لم يحفظه لدغه وجلب لنفسه الأذى.

(٦) **يقول إن في المقابر** كثيراً من أولئك الذين قتلهم لسانهم فماتوا برخص مع أن الأقران كانت تهابهم، والأقران جمع القرين وهو المثيل في الخلق والطبيعة.

(١٥١)

لأُكْرِمَهُم

روي أن أبا يعقوب البويطي قال: لم أزل أسمع الشافعي يردّد هذا البيت كثيراً:

أهِـينُ لَـهُـمْ نَـفْـسـي لأُكْـرِمَـهُـم بـهـا ... ولَـنْ تُـكْـرُمَ الـنفسُ التي لا نُـهـيـنُـهـا

(١٥٢)

العَيْبُ فِينا

وقال الشافعي رضي الله عنه:

نُـعِـيـبُ زَمَـانَـنَـا وَالـعَـيْـبُ فِـيـنَـا ... وَمَـا لِـزَمَـانِـنَـا عَـيْـبٌ سِـوانَـا

ونَـهْـجُـو ذَا الـزَّمَـان بـغَـيْـرِ ذَنْـبٍ ... وَلَـوْ نَـطَـقَ الـزَّمَـانَ لَـنَـا هَـجَـانَـا

ولَـيْـسَ الـذِّئـبُ يَـأْكُـلُ لَـحْـمَ ذِئـبٍ ... ويـأْكُـلُ بَـعْـضُـنَـا بَـعْـضـاً عَـيَـانَـا(١)

(١٥٣)

خافُوا الفِتَنَ

وقال الشافعي أيضاً يصف الصالحين الذين أدركوا زوال الدين عندهم

إنَّ لله عِـبَـاداً فُـطَـنَـا ... تَـرَكُـوا الـدُّنـيَـا وَخَـافُـوا الـفِـتَـنَـا(٢)

نَـظَـرُوا فِـيـهَـا فَـلـمّـا عَـلِـمُـوا ... أنّـهـا لَـيْـسَـتْ لِـحَـيٍّ وَطَـنَـا(٣)

جـعَـلُـوهَـا لُـجَّـةً وَاتَّـخَـذُوا ... صَـالِـحَ الأَعْـمَـالِ فِـيـهـا سُـفُـنَـا(٤)

---

(١) **يقول**: إنّ الذّئاب يأكل بعضها لحم البعض الآخر، فالعار إذاً أن يأكل أحدنا لحم أخيه وهذا كناية عن السباب والشتيمة.

(٢) **فُطَنا**: **ذوي فطنَة ـ الفتن**: جمع فتنة وهي إثارة الشرور وما يسبب القتال بين النّاس.

(٣) **انظروا فيها**: أي في الدّنيا.

(٤) **اللجّة**: أكثر الماء ـ **يقول**: إن العقلاء ذوي الفطنة أدركوا أن الحياة فانية وزائلة فجعلوا الدنيا لجّة تمخرها سفنهم بصالح الأعمال.

(١٥٤)

فَبَشِّرْهُ

وقال الإمام الشافعي يحدّد أثر العلم في سيرة الإنسان وخلقه[١]:

إذا لـم يَـزِدْ عِلْـمُ الـفتى قَلْبَه هـدًى ... وسـيـرتَـهُ عَـدْلاً وأخْـلاقَـهُ حُـسْـنَـا
فـبـشِّـرْه أنَّ الـلَّـهَ أوْلاهُ نَـقْـمَـةً ... يُسَـاءُ بـها مِثْلَ الذي عَبَدَ الـوثْنَا[٢]

(١٥٥)

عَمِيقٌ بَحْرُهُ

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف اتساع بحر العلوم[٣]:

لـن يـبـلُـغَ الـعْـلـمَ جَـمِـيـعـاً أَحَـدٌ ... لا وَلَـوْ حَـاولَـهُ أَلْـفَ سَـنَـهْ
إنَّـمـا الـعِـلْـمُ عَـمِـيـقٌ بَـحْـرُهُ ... فَـخُـذُوا مِـنْ كُـلِّ شَـيءٍ أَحْـسَـنَـه[٤]

(١٥٦)

الصَّبْر جُنّة

وقال الإمام الشافعي[٥]:

لا تَـحْـمِـلَـنَّ لِـمَـنْ يَـمُـنُّ ... مِـنَ الأَنَـامِ عَـلَـيْـكَ مِـنَّـه[٦]
واخْـتَـرْ لِـنَـفْـسِـكَ حَـظَّـهَـا ... وأصْـبِـرْ فـإنَّ الـصَّـبْـرَ جُـنَّـه[٧]

---

(١) **انظر حاشية الصاوي** (أحمد بن محمد)، في تفسير الجلالين.

(٢) **يقول**: إذا لم يكن قلب الفتى بريئاً من الظلم مليئاً بالهدى فالله سيوليه نقمة كتلك التي يُمنى بها عابد الوثن.

(٣) **انظر كتاب الجواهر الزكية ص ٢١٩.**

(٤) يشير إلى عمق بحر العلم ويدعو إلى الأخذ من كل علم أحسنه ما دام المرء غير قادر على أن يعي العلوم جميعها.

(٥) **أحمد الهاشمي**: جواهر الأدب (٢/ ٤٦١).

(٦) **الأنام**: النّاس.

(٧) **الجنّة**: السّترة، والدرع الواقية جمع الجُنَن.

مِـنَــنُ الــرِّجَــالِ عــلــى الــقُــلــو   بِ أشَــدُّ مــن وَقْــعِ الأَسِــنَّــه[1]

(١٥٧)

ما شِئْتَ كانَ

قال ابن خزيمة[2] عن المزني[3] عن الشافعي أنه قال:

مَــا شِــئْــتَ كَــانَ وإنْ لَــمْ أشَــأْ   وَمَـا شِـئْـتُ إن لَـمْ تَـشَـأْ لَـمْ يَـكُـنْ
خَـلَـقْـتَ الـعِـبَـادَ لِـمَـا قَـدْ عَـلِـمْـتَ   فَفِي العِلْمِ يَجْري الفَتَى وَالْمُسِنْ[4]
فـمِـنْـهُـمْ شَـقِـيٌّ، وَمِـنْـهُـمْ سَـعِـيـدٌ   وَمِـنْـهُـمْ قَـبِـيحٌ، وَمِـنْـهُـمْ حَـسَـنْ[5]
عَـلَـى ذَا مَـنَـنْـتَ، وَهَـذَا خَـذلْـتَ،   وَذَاكَ أعَــنْــتَ، وذَا لَــمْ تُــعِــنْ[6]

(١٥٨)

مِنْ أَقْوى الفِطَن

وقال الإمام الشافعي في سوء الظنّ:

لا يَــكُــنْ ظَــنُّــكَ إلاَّ سَــيِّــئــاً   إنَّ سـوءَ الـظَّـن مِـنْ أَقْـوى الـفِـطَـنْ
مَـا رَمـى الإنـسَـانَ فـي مَـخْـمَـصَـةٍ   غَيْرُ حُسْنِ الظَّن وَالقولِ الْحَسَنْ[7]

---

(١) **الأسنة**: رؤوس الرماح، جمع سنان.

(٢) **هو ابن خزيمة** محمد بن إسحاق السلمي المكنّى بأبي بكر من علماء نيسابور الكبار [(٢٢٣ ـ ٣١١ هـ) = (٧٣٧ ـ ٨٢٣ م)] جمع بين الفقه والحديث طبقت شهرته آفاق مصر والشام وبلاد الجزيرة والعراق، وكان إمام عصره بل إمام الأئمة كما وصفه المؤرخون.

(٣) **المزني**: هو إسماعيل بن يحيى المزني المكنى بأبي إبراهيم من معاصري الشافعي وأحد أصحابه الكبار [(١٧٥ ـ ٢٦٤ هـ) = (٧٩١ ـ ٨٧٧ م)].

(٤) **المسن**: خلاف الفتى، الطّاعن في العمر.

(٥) **يشير إلى اختلاف العباد** في السعادة والشقاء والحسن والقبح.

(٦) **خذله**: أفشله وحال دون نجاحه.

(٧) **المخمصة** (وزن مَفْعَلَة): المجاعة أي خلاء بطن المرء من الطعام.

(١٥٩)
أُتْرُكْ هَواهُ

وجاء في المخلاة[١] للعاملي: قال الشافعي رضي الله عنه:

زِنْ مِـــنْ وَزَنْـــتَ بِـــمَـــا وزَ ... نْـــكَ ومَـــا وَزَنْـــكَ بـــهِ فَـــزِنْـــهُ
مـــن جَـــا إلَـــيْـــك فـــرُحْ إلـــيْـــ ... ـه ومـــن جَـــفَـــاك فَـــصُـــدَّ عَـــنْـــهُ[٢]
مَـــنْ ظَـــنَّ أنَّـــكَ دُونَـــه ... فـــاتـــرُكْ هَـــواهُ إذاً وَهِـــنْـــهُ[٣]
وارجِـــعْ إلـــى رَبِّ الـــعِـــبَـــا ... دِ فـــكُـــلُّ مـــا يـــأتـــيـــكَ مـــنـــهُ[٤]

---

(١) المخلاة لبهاء الدين العاملي (ص ٢٩١).

(٢) رح إليه: اذهب إليه ـ **جفاك**: أعرض عنك ـ **صدّ عنه**: أعرض عنه من الصّدود.

(٣) **دونه**: أقل مكانة منه ـ **هنه**: وجّه إليه الإهانة.

(٤) **يدعو بالرجوع إلى الله** لأنّ كل ما يقع لنا إنما هو بمشيئته.

قافية الهاء

(١٦٠)

لا خَيْرَ فيهِ

وجاء في شرح المقامات للشريشي[١]: قال الشافعي رضي الله عنه:

سَأَتْرُكَ حُبَكُم من غَيْرِ بُغْضٍ ... ولا أَرْضَى مُقَارنَةَ السَّفِيهِ
وتَخْتَرِمُ الأُسودُ وُرودَ مَاءٍ ... إذا كَانَ الكِلابُ وَلَغْنَ فيهِ[٢]
إذا دَبَّ الدَّبِيبُ على طَعَامٍ ... سَأَتْرُكُهُ وقَلْبي يَشْتَهِيهِ
إذا شَرِبَ الأَسَدْ مِنْ خَلْفِ كلبٍ ... فَهَا ذاكَ الأَسَدْ لا خَيْرَ فِيهِ[٣]

(١٦١)

مَنْزِلَةُ السّفيهِ

وجاء في المخلاة للعاملي: قال الشافعي:

ومَنْزِلَةُ السَّفيه من الفَقيهِ ... كَمَنْزِلَةِ الفَقيهِ من السَّفِيهِ
فَهَذَا زَاهِداً في قُرْبِ هَذا ... وهَذا فيهِ أَزْهَدُ مِنْهُ فِيهِ
إذا غَلَبَ الشَّقاءُ عَلَى سَفِيهٍ ... تَقَطَّعَ في مَحَالَفَةِ الفَقِيهِ

(١٦٢)

(١) مقامات الشريشي: (ص ٤١٦).

(٢) ولغت الكلاب في الماء: شربت منه، ويكون الولْغ شرباً باللسان، والولغ للسباع كالكلاب والذّئاب.

(٣) **يقول لا خير في أسد** إذا شرب من خلف كلب يريد امتهانه لذلّته وقلّة اعتداده بنفسه.

تَصَبّر لِلْبَلْوى

وجاء في المخلاة للعاملي[1]**: قال الشافعي:**

أَرَى حُمُراً تَرْعَى وَتُعْلَفُ ما تَهْوى ... وأُسْداً جِياعاً تَظْمأُ الدَّهرَ لا تُروَى[2]
وأشرافَ قَوْمٍ لا يَنَالُونَ قُوتَهمُ ... وقَوْماً لِئاماً تَأْكُلُ المنَّ والسَّلْوَى[3]
قَضاءٌ لديَّانِ الخلائقِ سابقٌ ... ولَيْسَ عَلَى مُرِّ القَضا أحْدٌ يَقْوَى[4]
فمنْ عَرَفَ الدَّهرَ الخؤُونَ وصَرْفَه ... تصبَّرَ للبَلْوى ولمْ يُظهِرِ الشَّكوَى[5]

---

(١) **المخلاة للعاملي ص ٢٨٢.**

(٢) **تعلف**: تطعم العلف ـ **تظمأ**: تعطش ـ **لا تروى**: لا تسقى.

(٣) **القوت**: ما يسدّ الرمق، أود العيش ـ **المنّ**: كل ما ينعم به، والمن مائية تنعقد على بعض الأشجار عسلاً وتجف كالصمغ والمنّ هو الذي أنزله الله بأعجوبة بالبريّة على بني إسرائيل، كما ورد في القرآن الكريم ليقتاتوا به ـ **السلوى**:: العسل.

(٤) **الديّان**: القهّار ـ **القضا**: مخفف القضاء، حكم القدر.

(٥) **الخؤون**: الخائن ـ **صرف الدهر**: حوادثه ـ **البلوى**: المصيبة.

قافية الياء

(١٦٣)

أعرضْ عنِ الجَاهلِ

ومن كلام الشافعي رضي الله عنه:

أَعْـرِضْ عَـنِ الـجَـاهِـلِ الـسَّـفـيـهِ فَـكُـلُّ مـا قَـالَ فَـهْـوَ فِـيـهِ[١]
فَـمـا ضَـرَّ بَـحْـرَ الـفُـراتِ يَـوْمـاً أن خَـاضَ بَـعْـضُ الـكِـلابِ فيـهِ[٢]

(١٦٤)

وعين الرّضا

وقال الإمام الشافعي:

وعَـيْـنُ الـرّضَـا عَـنْ كُـلِّ عَـيْـبٍ كـلـيـلـةٌ ولكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تبدي المسَاوِيا[٣]
ولـسـتُ بـهـيَّـابٍ لِـمْـنَ لا يَـهـابُـنـي ولَسْتُ أَرَى لِلمَرْءِ ما لاَ يَرى ليا[٤]
فـإنْ تَـدْنُ مِـنّـي، تَـدْنُ مِـنْـكَ مَـوَدَّتـي وإنْ تَنْأَ عنّي، تلقَني عنْكَ نائيا[٥]
كـلانـا غَـنـيٌّ عَـنْ أخـيـهِ حَـيـاتَـه ونَـحْـنُ إذا مِـتْـنـا أَشَـدُّ تَـغـانِـيـا[٦]

---

(١) **أعرض عن**: ابتعد.

(٢) **بحر الفرات**: نهر الفرات.

(٣) **كليلة**: ضعيفة ـ **السخط**: عدم الرضى.

(٤) **هيّاب (فعّال)**: كثير التهيّب أي كثير الخوف.

(٥) **إن تدن**: إن تقترب ـ **إن تنأ**: ان تبتعد.

(٦) **يقول**: نحن في غنى الواحد عن الآخر، ولاسيما عندما نموت.

(١٦٥)

نَسينا الأمانيَ

وروى الرّبيع كما ذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار[١]

وجمّرتنا تَجْميرُ كِسْرى جنودُه ومنّيتنا حتّى نَسِينا الأمَانِيا[٢]

(١٦٦)

تَجاوَزُوا هَذا

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

إذا في مَجْلِسٍ نَذْكُرُ علياً وَسِبطَيْهِ وفاطمَةَ الزَّكيَّه[٣]
يُقالُ تَجاوزوا يا قَومُ هذا فهَذا مِنْ حَديثِ الرَّافضيَّه[٤]
بَرِئْتُ إلى المُهيمِن مِنْ أناسٍ يَرَوْن الرَّفضَ حُبَّ الفاطِميَّه[٥]

---

(١) **أراد بالربيع:** أحد رواة، الشافعي وهو الربيع بن سليمان.

(٢) **جمرتنا:** من جمّر الجند المقاتلين: أبقاهم في أرض العدو دون أن يعيدهم إلى وطنهم، وفي هذا قول زياد لأهل البصرة: **ولست مجمّراً لكم بعثاً ـ منّيتنا:** من الأمنية وهي الأمل والرجاء.

(٣) **سبطيه:** مثنى سبط والسبط هو ولد البنت ـ **فاطمة الزكية:** أي فاطمة الزّهراء عليها السلام.

(٤) **تجاوزوا هذا:** تخطوه ـ **الرّافضية:** الجماعة الرافضة.

(٥) **برئت من:** أي تبرّأت، فهو يتنصّل من الانتساب إلى هذه الجماعة.

فهرس القوافي

قافية الرّاء

قافية السين

قافية الصاد

قافية الضاد

قافية العين

قافية الفاء

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون

قافية الهاء

قافية الياء